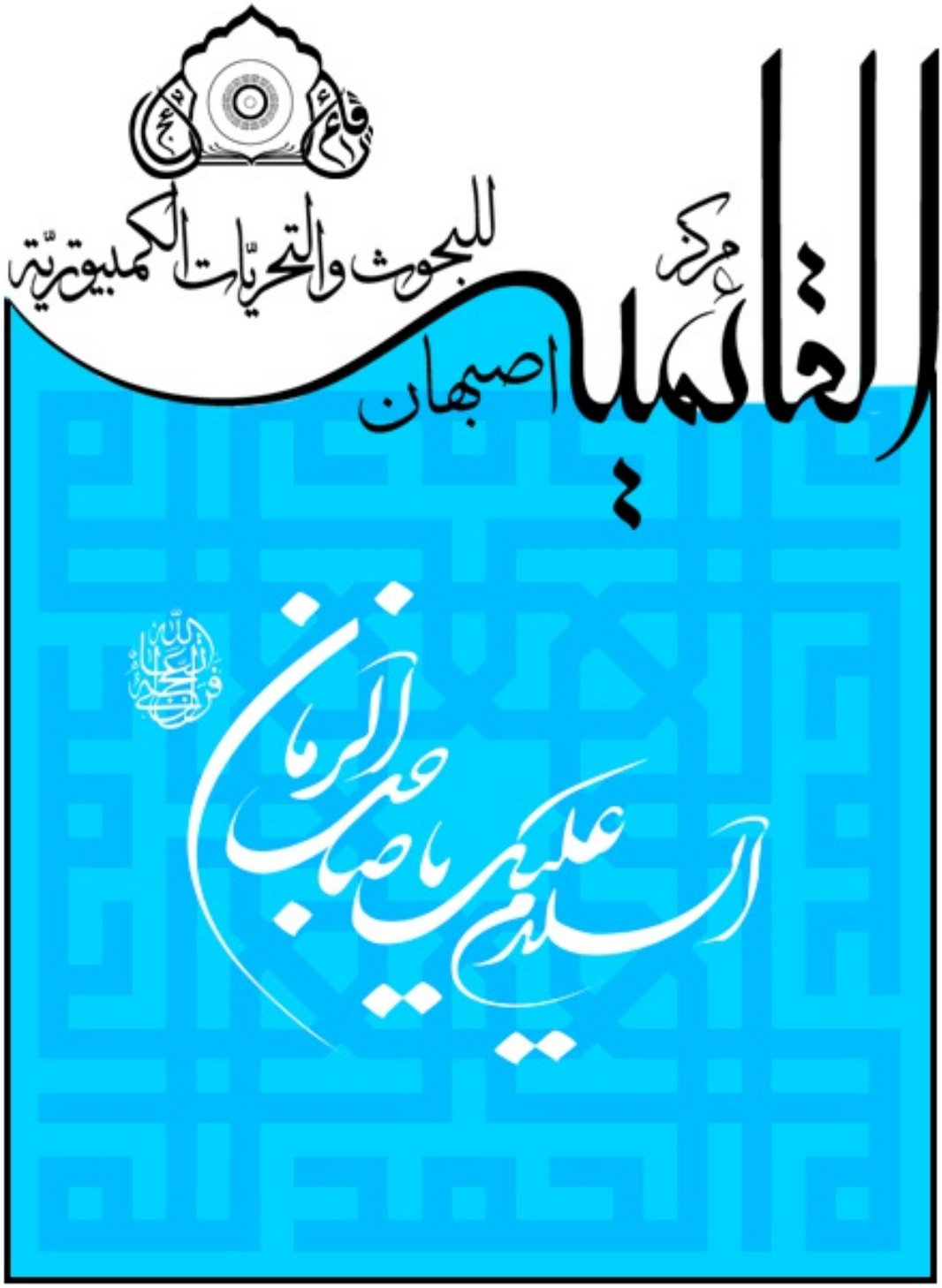

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

نظريه الكسب في افعال العباد

بحث موجز حول نظريه الكسب عند الاشاعرة

.....

جعفر سبحاني

بسم الله الرحمن الرحيم

نظريه الكسب فى الفعال العباد بحث موجز حول نظريه الكسب عند الاشاعرة

كاتب:

آيت الله العظمى جعفر سبحانى (دام ظله)

نشرت فى الطباعة:

موسسه‌الامام‌الصادق (ع)

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
نظریه الکسب فی الفعال العباد بحث موجز حول نظریه الکسب عند الاشاعرة ----- ۶
اشارة ----- ۶
تمهید حول تفسیر قول الأشاعرة: انّ اللّه خالق ----- ۶
مقدمه ----- ۷
۲- التوحید فی الخالقیة عند الإمامیّة ----- ۷
۳- مضاعفات حصر الخالقیة علی ضوء التفسیر ----- ۹
۴- نظریة الکسب بین التفسیر، والتکامل، والإبطال ----- ۱۱
خاتمة المطاف ----- ۲۲
تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ----- ۲۵

نظریه الکسب فی الفعال العباد بحث موجز حول نظریه الکسب عند الاشاعرة

اشارة

سرشناسه : سبحانی تبریزی جعفر، - ۱۳۴۸

عنوان و نام پدیدآور : نظریه الکسب فی الفعال العباد بحث موجز حول نظریه الکسب عند الاشاعرة/ تالیف جعفر السبحانی

مشخصات نشر : قم موسسه الامام الصادق علیه‌السلام ۱۴۲۴ق = ۱۳۸۲.

مشخصات ظاهری : ص ۱۰۲

فروست : (سلسلة المسائل العقائدیة۳)

شابک : ۹۶۴-۳۵۷-۱۱۷-۳۳۵۰۰ریال ؛ ۹۶۴-۳۵۷-۱۱۷-۳۳۵۰۰ریال یادداشت : عربی

یادداشت : کتابنامه به‌صورت زیرنویس موضوع : کسب (کلام

موضوع : جبر و اختیار

موضوع : کلام شیعه امامیه شناسه افزوده : موسسه امام صادق ع

رده بندی کنگره : BP۲۱۹/۶/س۲ن۶ ۱۳۸۲

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۴۶۵

شماره کتابشناسی ملی : م۸۲-۳۵۹۰

تمهید حول تفسیر قول الأشاعرة: انّ اللّه خالق

تمهید حول تفسیر قول الأشاعرة: انّ اللّه خالق العبد کاسب بسم الله الرحمن الرحیم الحمد لله الّذی حسرت عن معرفة کماله، عقول الأولیاء، وعجزت عن إدراک حقیقته، أفهام العلماء، واحد لا شریک له، لا یُشبهه شیء لا فی الأرض ولا فی السماء ;والصلاة والسلام علی نبیّه الخاتم، أفضل خلائقه وأشرف سفرائه، وعلی آله البررة الأصفیاء، والأئمّة الأتقیاء. أمّا بعد فغیر خفیّ علی النابه انّ للعقیدة ـ علی وجه الإطلاق ـ دوراً فی حیاة الإنسان أیسره انّ سلوکه ولید عقیدته ونتاج تفکیره، فالمواقف الّتی یتّخذها تملیها علیه عقیدتُه، والمسیر الّذی یسیر علیه، توحیه إلیه فکرته. إنّ سلوک الإنسان الّذی یؤمن بإله حیّ قادر علیم، یری ما یفعله، ویحصی علیه ما یصدر عنه من صغیرة وکبیرة، (۲)

یختلف تماماً عن سلوک من یعتقد أنّه سیّد نفسه وسیّد الکون الّذی یعیش فیه، لا یری لنفسه رقیباً ولا حسیباً. ومن هنا یتّضح أنّ العقیدة هی رکیزة الحیاة، وأنّ التکالیف والفرائض الّتی نعبّر عنها بالشریعة بناء علیها، فالعقیدة ترتبط ارتباطاً وثیقاً بالروح والعقل، فی حین ترتبط الشریعة والأحکام بألوان السلوک والممارسات. ولأجل هذه الغایة قُمنا بنشر رسائل موجزة عن جوانب من العقیدة الإسلامیة، ورکّزنا علی أبرز النقاط الّتی یحتدم فیها النقاش. وبما أنّ لکلّ علم لغته، فقد آثرنا اللغة السهلة، واخترنا فی مادة البحث ما قام علیه دلیل واضح من الکتاب والسنّة، وأیّده العقل الصریح ـ الّذی به عرفنا الله سبحانه وأنبیاءه ورسله ـ حتّی یکون أوقع فی النفوس، وأقطع لعذر المخالف. جعفر السبحانی قم ـ مؤسسة الإمام الصادق ـ علیه السَّلام ـ (۳) تمهید بسم الله الرحمن الرحیم الحمد للّه ربّ العالمین، والصلاة والسلام علی سیّد المرسلین وآله الطاهرین وأصحابه المنتجبین. أمّا بعد، فهذه رسالة موجزة وضعتُها لتبیین معالم نظریة الکسب التی تبنّاها الإمام الأشعری وأشاعها فی الأوساط العلمیة. وحقیقة تلک النظریة عبارة عن أنّ اللّه سبحانه هو الخالق و العبد هو الکاسب، وأنّ الخلق والإیجاد فی أفعال الإنسان من اللّه سبحانه، والکسب والاکتساب من العبد، فالثواب والعقاب لأجل الکسب. ولمّا کان القول بنظریة الکسب نابعاً من القول (۴)

بالتوحيد فى الخالقية وحصرها فى اللّه سبحانه بالمعنى الذى اختاره أهل الحديث، يجب تبيين نظريتهم فى هذا الأصل، ثمّ تبيين نظرية الكسب التى تبنّاها الأشعرى وغيره لدفع وصمة الجبر عن أفعال العباد، وإيضاح المراحل التى مرّت على النظرية عبْر قرون. فتبيين الحقّ فى عامّة جوانب الموضوع يأتى ضمن فصول:

مقدمه

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الّذى حسرت عن معرفة كماله، عقول الأولياء، وعجزت عن إدراك حقيقته، أفهام العلماء، واحد لا شريك له، لا يُشبهه شىء لا فى الأرض ولا فى السماء ;والصلاة والسلام على نبيّه الخاتم، أفضل خلائقه وأشرف سفرائه، وعلى آله البررة الأصفياء، والأئمّة الأتقياء. أمّا بعد فغير خفىّ على النابه انّ للعقيدة ـ على وجه الإطلاق ـ دوراً فى حياة الإنسان أيسره انّ سلوكه وليد عقيدته ونتاج تفكيره، فالمواقف الّتى يتّخذها تمليها عليه عقيدتُه، والمسير الّذى يسير عليه، توحيه إليه فكرته. إنّ سلوك الإنسان الّذى يؤمن بإله حىّ قادر عليم، يرى ما يفعله، ويحصى عليه ما يصدر عنه من صغيرة وكبيرة، (۲)

يختلف تماماً عن سلوك من يعتقد أنّه سيّد نفسه وسيّد الكون الّذى يعيش فيه، لا يرى لنفسه رقيباً ولا حسيباً. ومن هنا يتّضح أنّ العقيدة هى ركيزة الحياة، وأنّ التكاليف والفرائض الّتى نعبّر عنها بالشريعة بناء عليها، فالعقيدة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالروح والعقل، فى حين ترتبط الشريعة والأحكام بألوان السلوك والممارسات. ولأجل هذه الغاية قُمنا بنشر رسائل موجزة عن جوانب من العقيدة الإسلامية، وركّزنا على أبرز النقاط الّتى يحتدم فيها النقاش. وبما أنّ لكلّ علم لغته، فقد آثرنا اللغة السهلة، واخترنا فى مادة البحث ما قام عليه دليل واضح من الكتاب والسنّة، وأيّده العقل الصريح ـ الّذى به عرفنا الله سبحانه وأنبياءه ورسله ـ حتّى يكون أوقع فى النفوس، وأقطع لعذر المخالف. جعفر السبحانى قم ـ مؤسسة الإمام الصادق ـ عليه السَّلام ـ (۳) تمهيد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد للّه ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيّد المرسلين وآله الطاهرين وأصحابه المنتجبين. أمّا بعد، فهذه رسالة موجزة وضعتُها لتبيين معالم نظرية الكسب التى تبنّاها الإمام الأشعرى وأشاعها فى الأوساط العلمية. وحقيقة تلك النظرية عبارة عن أنّ اللّه سبحانه هو الخالق و العبد هو الكاسب، وأنّ الخلق والإيجاد فى أفعال الإنسان من اللّه سبحانه، والكسب والاكتساب من العبد، فالثواب والعقاب لأجل الكسب. ولمّا كان القول بنظرية الكسب نابعاً من القول (۴)

بالتوحيد فى الخالقية وحصرها فى اللّه سبحانه بالمعنى الذى اختاره أهل الحديث، يجب تبيين نظريتهم فى هذا الأصل، ثمّ تبيين نظرية الكسب التى تبنّاها الأشعرى وغيره لدفع وصمة الجبر عن أفعال العباد، وإيضاح المراحل التى مرّت على النظرية عبْر قرون. فتبيين الحقّ فى عامّة جوانب الموضوع يأتى ضمن فصول:

۲- التوحيد فى الخالقية عند الإماميّة

۲- التوحيد فى الخالقية عند الإماميّة اتّفق أهل القبلة ـ إلّا من شذّ كالمعتزلة ـ على التوحيد فى الخالقية وانّه لا خالق إلّا اللّه سبحانه، وقد قامت الإمامية منهم بتفسيره بوجه لا ينافى القول بنظام الأسباب والمسبّبات والعلل الطبيعية ومعاليلها، وإليك حاصل نظريتهم. إنّ الخالقية المستقلّة النابعة من الذات، غير المعتمدة على شىء منحصرة باللّه سبحانه ولا يشاركه فيها شىء، وأمّا

۱-قلنا«عند الإمامية» و لم نقل عند العدلية، لأنّ هذا التفسير يختصّ بهم وأمّا المعتزلة الذين يُعدّون من العدلية فقد أنكروا هذا الأصل، لأجل صيانة عدله سبحانه زاعمين أنّ القول بهذا الأصل يضاد أصل العدل، غافلين عن أنّ المضاد هو التفسير الأشعرى، لا الإمامى. وقد فصّلنا الكلام فى ذلك فى محاضراتنا المنتشرة باسم:«الإلهيات» فلاحظ. (۱۳)

غيره سبحانه فإنّما يقوم بأمر الخلق والإيجاد بإذن منه وتسبيب، ويعدّ الكلّ جنوداً للّه سبحانه، يعملون بتمكين منه لهم .ويظهر هذا المعنى من ملاحظة الأُمور التالية: الأوّل: لا يشكّ المتدبّر فى الذكر الحكيم فى أنّه كثيراً ما يُسنِد آثاراً إلى الموضوعات الخارجية

والأشیاء الواقعة فی دار المادة، کالسماء وکواکبها ونجومها والأرض وجبالها وبحارها وبراریها وعناصرها ومعادنها والسحاب والرعد والبرق والصواعق والماء والأعشاب والأشجار والحیوان والإنسان إلی غیر ذلک من الموضوعات الواردة فی القرآن الکریم. فمن أنکر إسناد القرآن آثار تلک الأشیاء إلی أنفسها فإنّما أنکره باللسان، وقلبه مطمئن بخلافه، وسیوافیک فی الفصل التالی شیء من الآیات الناصّة علی ذلک. الثانی: انّ القرآن یُسند إلی الإنسان أفعالاً لا یقوم بها إلّا هو، ولا یصحّ إسنادها إلی اللّه سبحانه بلا واسطة، کأکله وشربه ومشیه وقعوده ونکاحه وحربه وجداله وصلاته وصیامه، فهذه أفعال قائمة بالإنسان مستندة إلیه، فهو الذی (۱۴)

یأکل ویشرب ویحارب ویجادل ویفهم و یصلّی و یصوم وهو سبحانه منزّه عن هذه الأفعال. الثالث: انّ اللّه سبحانه أمر الإنسان بالطاعة أمر إلزام، ونهاه عن المعصیة نهیَ تحریم، فیجزیه بالطاعة، ویعاقبه بالمعصیة. فلو لم یکن للإنسان دور فی ذلک المجال، وتأثیر فی الطاعة والعصیان فما هی الغایة من الأمر والنهی، وما معنی الجزاء والعقوبة؟! وهذه الأُمور الثلاثة إذا قارنها الباحث إلی قوله سبحانه: (قُلِ اللّهُ خالِقُ کُلّ شَیء وَهُوَ الْواحِدُ القَهّار)(۱) الذی یدلّ علی بسط فاعلیته وعلّیته علی کلّ شیء، یَستنتج منها انّ النظام الإمکانی علی اختلاف هویّاته وأنواعه، فعّال ومؤثر فی آثاره، لکن بتقدیره سبحانه ومشیئته وإذنه وهو القائل جلّ وعلا:(الّذی أعطی کلّ شَیء خَلْقَهُ ثُمّ هَدی)(۲) والقائل تعالی: (والّذی قَدّرَ فَهَدی)(۳) ، وأنّ مظاهر الکون

۱-الرعد:۱۶.

۲-طه:۵۰.

۳-الأعلی:۳. (۱۵)

وأعمالها وآثارها وحرکاتها وسکناتها تنتهی إلی قضائه وتقدیره وهدایته وإجرائه نظام الأسباب والمسببات فی صحیفة الکون. فعلی هذا فالأشیاء فی جواهرها وذواتها وحدود وجودها وخصوصیاتها تنتهی إلی الخلقة الإلهیة، کما أنّ أفعالها التی تصدر عنها فی ظل تلک الخصوصیات تنتهی إلیه أیضاً ولیس العالم ومجموع الکون إلّا مجموعة متوحّدة یتّصل بعضها ببعض ویتلاءم بعضها مع بعض، ویؤثر بعضها فی بعض، واللّه سبحانه وراء هذا النظام ومعه وبعده ولا خالق ولا مدبّر حقیقة وبالأصالة إلّا هو کما لا حول ولا قوة إلّا باللّه. وبعبارة أُخری:انّ التدبر فی الآیات الواردة فی التوحید فی الخالقیة إذا فسّرت علی نحو التفسیر الموضوعی(۱). یثبت

۱-نرید من التفسیر الموضوعی هو جمع الآیات الواردة فی أی موضوع من الموضوعات واستنطاق بعض الآیات ببعض والخروج بنتیجة واحدة، هی حصیلة عامة الآیات. وقد ألّفنا موسوعة قرآنیة علی هذا الغرار وأسمیناها بـ«مفاهیم القرآن» انتشرت فی عشرة أجزاء. (۱۶)

أنّ آثار الموجودات الإمکانیة آثار لها، وفی الوقت نفسه تنتهی الأسباب إلی اللّه سبحانه. فجمیع هذه الأسباب والمسببات یرتبط بعضها ببعض ویؤثر بعضها فی بعض، وفی الوقت نفسه مرتبطة باللّه سبحانه وإلیه ینتهی النظام الإمکانی والعلل والمعالیل. ولیس السبب منقطعاً عن اللّه، وفی الوقت نفسه لیس المسبب فعلاً مباشریاً له سبحانه فبذلک یجمع بین القول بحصر الخالقیة فی اللّه سبحانه، والقول بنظام العلل والمعالیل المنتهیة إلیه والقائمة به، فالخالقیة المستقلة النابعة من الذات، منحصرة باللّه سبحانه، والخالقیة الظلیة والتبعیة، النابعة من قدرته سبحانه من خصائص النظام الإمکانی، ولنعم قول القائل: «فالفعل فعل اللّه وهو فعلنا». وباختصار: إنّ العوالم الممکنة من عالیها إلی سافلها متساویة النسبة إلی قدرته سبحانه، فالجلیل والحقیر، والثقیل والخفیف عنده سواسیة، لکن لیس معنی «المساواة» هو قیامه تعالی بکلّ شیء مباشرة، وخلع التأثیر عن الأسباب والعلل، (۱۷)

بل یعنی أنّ اللّه سبحانه یُظهر قدرته وسلطانه عن طریق خلق الأسباب، وبعث العلل نحو المسببات والمعالیل، والکلّ مخلوق له، ومظاهر قدرته وحوله، ولا حول ولا قوّة إلّا باللّه. فالأشعری، خلع الأسباب والعلل ـ وهی جنود اللّه سبحانه ـ عن مقام التأثیر والإیجاد، کما أنّ المعتزلی(۱) عزل سلطانه عن ملکه وجعل بعضاً منه فی سلطان غیره، أعنی: فعل العبد فی سلطانه. والحقّ الذی علیه البرهان

ويصدّقه الكتاب هو كون الفعل موجوداً بقدرتين، لكن لا بقدرتين متساويتين، ولا بمعنى علّتين تامّتين، بل بمعنى كون الثانية من مظاهر _____

۱-قد تقدّم فى ص۱۲ انّ المعتزلة، أنكرت هذا الأصل من رأس، لغاية حفظ عدله وتنزيهه من الظلم والعمل السيّئ، وزعمت انّ وجود الإنسان مخلوق للّه وفعله مخلوق لنفس الإنسان فقط، فأخرجت أفعال العباد عن سلطان اللّه تبارك و تعالى، ونعم ما قال الإمام الكاظم ـ عليه السَّلام ـ : «مساكين القدرية أرادوا أن يصفوا اللّه بعدله، فأخرجوه عن سلطانه» وسيوافيك فى خاتمة المطاف ما يفيدك فى المقام . (۱۸)

القدرة الأُولى وشؤونها وجنودها:(وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاّ هُوَ)(۱)وقد جرت سنّة اللّه تعالى على خلق الأشياء بأسبابها، فجعل لكلّ شىء سبباً، وللسبب سبباً، إلى أن ينتهى إليه سبحانه، والمجموع من الأسباب الطولية علّة واحدة تامّة كافية لإيجاد الفعل، والتفصيل يطلب من محله، ونكتفى فى المقام بكلمة عن الإمام الصادق ـ عليه السَّلام ـ : «أبى اللّه أن يجرى الأشياء إلاّ بأسباب، فجعل لكلّ شىء سبباً وجعل لكلّ سبب شرحاً».(۲) وبهذه النظرية ـ أى نظرية كون العالم مخلوقاً على النظام السببى و المسببى وانّ فيه فواعل اضطرارية كما أنّ فيه فواعل اختيارية ـ تتناسق الأُمور الثلاثة الماضية(۳) وتتوحّد نتائجها، وهذا بخلاف ما إذا قلنا بالنظرية الأُولى فانّها توجب التضاد بين الأُمور الثلاثة المسلمة. _____

۱-المدثر:۳۱ .

۲- الكافى:۱/۱۸۳، باب معرفة الإمام، الحديث۷.

۳-لاحظ ص ۱۳ ـ ۱۴. (۱۹)

۳- مضاعفات حصر الخالقية على ضوء التفسير

۳- مضاعفات حصر الخالقية على ضوء التفسير الأشعرى قد تقدّم انّ المسلمين إلاّ من شذّ تبعاً للذكر الحكيم والبراهين العقلية اتّفقوا على حصر الخالقية فى اللّه سبحانه وعدُّوه من مراتب التوحيد ولا يصحّ الحصر ولا ينسجم مع سائر الأُصول إلاّ إذا فسر على النحو الذى مرّ آنفاً، فالقول بهذا الحصر ـ على ما فسرنا ـ لا ينافى الإيمان بالعلل والأسباب الطولية والنظام السائد على العالم من العلّية والمعلولية، المنتهى إلى اللّه سبحانه. غير انّ الإمام الأشعرى ومن تبعه أخذوا بظواهر بعض الآيات فأنكروا أصل التأثير حتّى الظلى والتبعى فى غيره سبحانه ولم يعترفوا إلاّ بعلة واحدة وهى اللّه سبحانه، (۲۰)

القائم مكان عامة العلل، فجعلوا الظواهر كلّها مخلوقة للّه بالمباشرة وبلا توسط سبب وكأنّ من أنكر ذلك التفسير فقد أنكر التوحيد فى الخالقية، غير انّ ذلك التفسير مردود من جهات نشير إلى بعضها. الأُولى: تصريح القرآن بتأثير العلل الطبيعة إنّ القرآن الكريم يصرح بوضوح كامل بتأثير بعض الأشياء فى بعض ويكشف عن نظام سائد على العالم نظاماً عليّاً ومعلولياً، سبباً ومسبباً، ونحن نذكر فى المقام بعض الآيات: ۱. (وَفِى الأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجاوِرَاتٌ وَجَنّاتٌ مِنْ أَعْناب وَزَرعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَان يُسْقَى بِماء واحِد وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلى بَعْض فِى الأُكُلِ إِنَّ فِى ذلكَ لآيات لِقَوْم يَعْقِلُونَ).(۱) وجملة (يُسقَى بِماء واحِد) كاشفة عن دور الماء وأثره

۱-الرعد:۴. (۲۱)

فى إنبات النباتات ونمو الأشجار، ومع ذلك يفضل بعض الثمار على بعض. وأوضح دليل على ذلك قوله تعالى فى الآيتين التاليتين: ۲. (وَأَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَراتِ رِزْقاً لَكُمْ).(۱) ۳. (أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ المَاءَ إِلى الأَرْضِ الجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأْكُلُ مِنْهُ أَنعامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلا يُبْصِرُونَ).(۲) ففى هاتين الآيتين يصرح الكتاب العزيز ـ بجلاء ـ بتأثير الماء فى الزرع، إذ أنّ «الباء» تفيد السببية ـ كما تعلم ـ ۴. (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللّهَ يُزْجِى سَحاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكاماً فَتَرى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ مِنْ

جِبال فِيهَا مِنْ بَرَد فَيُصيبُ بِهِ من يَشاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشاءُ يَكادُ سَنا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأبْصارِ).(۳) _____

۱-البقرة:۲۲.

۲-السجدة:۲۷.

۳-النور:۴۳. (۲۲) ففى هذه الآية نرى ـ لو أمعنا النظر ـ كيف بيّن القرآن الكريم المقدّمات الطبيعية لنزول المطر والثلج من السماء من قبل أن يعرفها العلم الحديث ويطّلع عليها بالوسائل التى يستخدمها لدراسة الظواهر الطبيعية واكتشاف عللها ومقدّماتها. فقبل أن يتوصل العلم الحديث إلى معرفة ذلك ـ بزمن طويل ـ سبق القرآن إلى بيان تلك المقدّمات فى عبارات هى: ۱. يزجى(يحرك) سحاباً. ۲. ثمّ يؤلّف (ويركِّب) بينه. ۳. ثمّ يجعله ركاماً (أى كتلة متراكمة متكاثفة). فينسب هذه المراحل إلى اللّه تعالى. ثمّ يقول: ۴. فترى الودق (أى المطر) يخرج من خلاله. ۵. يكاد سنابرقه يذهب بالأبصار. وهكذا يصرح اللّه سبحانه بتأثير الأسباب والعلل الطبيعية فى المرحلتين الأخيرتين، غاية ما هنالك أنّ تأثير هذه العلل والأسباب بإذن اللّه ومشيئته بحيث إذا لم يشأ هو (۲۳)

سبحانه لتعطلت هذه العلل عن التأثير. ۵. (اللّهُ الّذِى يُرْسِلُ الرِّياحَ فَتُثيرُ سَحاباً فَيَبْسُطُهُ فِى السَّماءِ كَيْفَ يَشاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفاً فَتَرى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ فَإذا أَصابَ بِهِ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ إذا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ).(۱) وأيّة جملة أوضح من قوله: (فَتُثيرُ سَحاباً) أى الرياح، فالرياح فى نظر القرآن هى التى تثير السحاب وتسوقه من جانب إلى جانب آخر. إنّ الإمعان فى عبارات هذه الآية يهدينا إلى نظرية القرآن ورأيه الصريح حول «تأثير العلل الطبيعية بإذن اللّه». ففى هذه الجمل جاء التصريح: ۱. بتأثير الرياح فى نزول المطر. ۲. وتأثير الرياح فى تحريك السحب. ۳. كما جاء التصريح بانتساب انبساط السحب فى السماء إلى اللّه. _____

۱-الروم:۴۸. (۲۴) ۴. وتجمع السحب ـ فيما بعد ـ على شكل قطع متراكمة إلى اللّه سبحانه. ۵. ثمّ نزول المطر بعد هذه التفاعلات والمقدمات. فإذا ينسب القرآن هذين الأمرين ـ الثالث والرابع ـ إلى اللّه وانّه (هو) يبسط السحاب فى السماء و(هو) الذى يجعله كسفاً، فإنّما يقصد ـ من وراء ذلك ـ التنبيه إلى مسألة «التوحيد الأفعالى» الذى يعبّر عنه بالتوحيد فى الخالقية، وفى الوقت نفسه «لا منافاة بين هذه النسبة والقول بتأثير العلل الطبيعية فى بسط السحب وجمعها. على أنّ الآيات التى تؤكد على دور العلل الطبيعية وتأثيرها المباشر وتعتبر العالم مجموعة من الأسباب للمسببات التى تعمل بإرادة اللّه وإذنه، وتكون فاعليتها فرعاً من فاعليته سبحانه، أكثر من أن ينقل فى المقام، وفيما ذكرنا من الآيات كفاية لمن تدبّر. الثانية: انتفاء الغاية من إيجاد القدرة فى الإنسان إذا صحّ تقسيم الفاعل إلى فاعل قادر مختار، يتوصّل (۲۵)

إلى مقاصده بالمشيئة وإعمال القدرة ;وفاعل مضطرّ، يقع مصدراً للآثار، من دون إرادة وإعمال القدرة، فالإنسان من مصاديق القسم الأوّل بل من أفضل مصاديقه، فهو يصدر عن فكر ورويّة وميل واشتياق، وعزم وجزم، وإعمال للقدرة التى وهبها اللّه سبحانه له، وهذا شىء يدركه وجدان كلّ إنسان حرّ التفكير ولا يبطله أى دليل وبرهان حتّى أنّ الشيخ الأشعرى استدلّ على كون الإنسان مختاراً فى فعله، بالفرق بين الحركتين: الاكتسابية والاضطرارية فقال: فإذا كانت حركة المرتعش من الفالج والمرتعد من الحمى حركة اضطرارية، وإذا كانت الحركة الأُخرى بخلاف هذا الوصف لم يكن اضطراراً، لأنّ الإنسان فى ذهابه ومجيئه، وإقباله وإدباره بخلاف المرتعش من الفالج والمرتعِد من الحمى، يعلم الإنسان التفرقة بين الحالين من نفسه وغيره علمَ اضطرار لا يجوز معه الشك. فإذا(۱) كان هذا حال الإنسان وهذه مواهبه وعطاياه، فما _____

۱-اللمع:۷۵. (۲۶)

هى الغاية من خلق القدرة فى الإنسان التى لا دور لها فى الإنشاء والإيجاد، سوى حديث المقارنة، مقارنة القدرة مع الحادثة من دون أن يكون بين قدرة العبد وفعله أى صلة . إنّ إبعاد قدرة العبد عن التأثير فى مصير الإنسان، يضادّ وجدانَ كلّ فاعل، أوّلاً، ويُضفى على تزويد الإنسان بها، شأن اللغوية ثانياً، ويُعرِّف خالق القدرة لاعباً ثالثاً، قال سبحانه:(وَما خَلَقنا السماء والأَرضَ وما بيْنَهُما لاعِبين).(۱) إنّ التوحيد فى الخالقية، من المعارف العليا القرآنية والتى لم يصل إليها حتى الأوحدى من الفلاسفة إلّا عن طريق التدبّر فى آيات الذكر

الحكيم، ومن خالفه من المعتزلة فإنّما خالفه بزعم انّه يخالف عدلَه وتنزيهه سبحانه غير انّ الذى يخالف عدله، ويضاد تنزيهه، هو حصر الخالقية بالمعنى الذى تبنّاه أهل الحديث والأشاعرة، فانّه يضاد كونه حكيماً، عادلاً، نزيهاً عن اللغو واللعب حيث خلق فى الإنسان القدرة التى لا دور لها فى حياته فى عاجله وآجله، وأمّا تفسيره على _____

۱-الأنبياء:۱۶. (۲۷)

النهج الذى عرفت وقد سار عليه أئمة أهل البيت فهو يدعم كونه سبحانه حكيماً، عادلاً، نزيهاً من اللغو والعبث. وكم من عائب قولاً صحيحاً * و آفته من الفهم السقيم الثالثة: كلّ فاعل مسؤول عن فعله إنّ العقلاء قاطبة ـ حتى أهل الحديث والأشاعرة ـ يرى الإنسان مسؤولاً ـ عن فعله وعمله، وليس المحسِن والمسىء عندهم سواسية، بل يُثاب الأوّل، ويُعاقب الثانى، كلّ وفقَ عمله، ومدى مسؤوليته، وهذا فرع أن يكون للفاعل دور فى فعله، وعمله، ولو أصاب رأسه حجر فأدماه، فيحمّل مسؤولية الإدماء على عاتق الرامى، دون الحجر، وذلك لأنّ له شعوراً وارادة، دون الآخر، وعلى ضوء ذلك يصف الذكر الحكيم بأنّ الإنسانَ مسؤول عن عمله ويقول: (وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤولون)(۱) بل يعد أدوات المعرفة أيضاً، مسؤولة _____

۱-الصافات:۲۴. (۲۸)

ويقول (إِنَّ السَّمعَ والبصرَ والفُؤادَ كُلُّ أُولئكَ كانَ عَنْهُ مَسْؤولاً)(۱) ، وذلك لأنّها بيد الإنسان، أداة طيّعة يستخدمها كيف ما شاء. فإذا كان هذا لسانَ العقل والعقلاء وصريحَ الذكر الحكيم فلو كانت أفعاله وأعماله، مخلوقة للّه، على نحو تفقد صلتَها بالإنسان، فما معنى كونه مسؤولاً ـ عن عمل، قام به غيره، أو مجزياً بفعل غيره، وليس لجسمه أو روحه دور، سوى كونه ظرفاً و وعاءً لفعل الغير يخلقه فيه. إذ كيف يثاب أو يعاقب على ما ليس له فيه شأن؟! وكيف يكون معاقباً وقد جنى غيره وفق قول القائل: غيرى جنى وأنا المعاقَبُ فيكم * فكأننى سبّابة المتندم إنّ هذه التوالى الفاسدة التى يدركها كلّ إنسان واع ووجدان حرّ دفعت الشيخ الأشعرى، ومن لفّ لفّه إلى الخروج عن هذا المأزق باختراع «نظرية الكسب» حتّى _____

۱-الإسراء:۳۶. (۲۹)

يتخلّصوا ممّا يترتب على خلق الأعمال من التوالى الفاسدة، فإذا قيل لهم: كيف يُثاب المرء أو يُعاقب على عمل لم يوجده هو؟ وكيف يتفق هذا مع ما هو مقرّر فى عدالة اللّه وحكمته فى تكليف خلقه؟ أجابوا: انّ العباد وإن لم يكونوا خالقين لأعمالهم لكنّهم كاسبون لها، وهذا الكسب هو مناط التكليف ومدار الثواب والعقاب وبه يتحقّق عدل اللّه وحكمته فيما شرّع للمكلّفين. قالوا: إنّ هنا نصوصاً تثبت بأنّه لا خالق إلاّ هو، كقوله (اللّهُ خالِقُ كُلِّ شَىْء) (۱)، (هَلْ مِنْ خالِق غَيْرُ اللّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ وَالأَرْض)(۲) إلى غير ذلك. وبجانب هذا توجد نصوص، تَنسب أعمال العباد إليهم، وتُعلّق رضوان اللّه للمحسنين منهم وتعلّق غضبه للمسيئين منهم و يقول:(مَنْ عَمِلَ صالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَساءَ _____

۱-الرعد:۱۶.

۲-فاطر:۳. (۳۰) فَعَلَيْها)(۱)، (إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَها)(۲) إلى غير ذلك من الآيات. فحملوا النصوص الأُولى على الخلق، وحملوا الثانية على الكسب جمعاً بين الأدلّة، فإذا قيل ما هذا الكسب؟ وما يراد به؟ وهل هو أيضاً موجود أو معدوم؟ فمالوا يميناً ويساراً حتّى يأتوا به تفسيراً معقولاً مع أنّه مضت على النظرية قرون عشرة لكنّها بقيت فى محاق الإبهام، بل دخلت أخيراً فى مدحرة الإنكار، وهذا هو الذى ندرسه فى الفصول المقبلة بعد مقدّمة موجزة. _____

۱-الجاثية:۱۵.

۲-الإسراء:۷.

۴- نظرية الكسب بين التفسير، والتكامل، والإبطال

۴- نظريـة الكسب بين التفسـير، والتكامل، والإبطال قـد تعرفت على أنّ القول بالتوحيد فى الخالقية ـ الذى يعبّر عنه اليوم بعموم القدرة والإرادة ـ بالتفسير الـذى قام به أهل الحـديث والأشاعرة، صار ذا مضاعفات عديـدة، أهمها: كون الإنسان مجبوراً لا مختاراً، مسيّراً لا مخيّراً، غير مسؤول عن عمله وفعله، لأنّ الفعل فعل اللّه لا فعله، وهو خالقه وموجـده وليس له دور، سوى كونه وعاءً لفعل اللّه سـبحانه. كما تعرّفت على أنّ الشيخ الأشعرى قد وقف على ما يترتب على تفسيره من النتائج الفاسدة، حاول أن يتخلّص (۳۲)

من ذلك المأزق بطرح نظرية الكسب حتّى يكون للإنسان دور فى مجال أفعاله وأعماله فصار سـهم الخالق هو الإيجاد والإنشاء وسهم الإنسـان هو الكسب والاكتسـاب، والثواب والعقاب على الكسب. وقـد مرّت على النظريـة مراحل مختلفـة عبر أجيال، وذلك لأنّ باذر الفكرة وغارسـها مرّ عليها بإجمال دون أن يفسّرها ويبيّنها، فأخذ روّاد منهج الأشـعرى بتبيينها وتفسيرها تارة، وتطويرها وإكمالها ثانياً، إلى أن وصلت النوبة إلى العقول الحرّة، فأنكروها وأبطلوها وصرّحوا بأنّها نظرية لا تسمن ولا تغنى من جوع وانّ المضاعفات و التوالى الفاسـدة باقية بحالها، فها نحن نشـرح كلّ واحد من هذه المراحل فى فصل خاص حتى تسـهل الإحاطة بها. (۳۳) المرحلة الأُولى فى تبيين النظريـة وتفسـيرها يظهر من غير واحـد من كُتّـاب تاريـخ العقائـد والمناهـج الكلاميـة انّ الإمـام الأشـعرى لم يكن مبتكراً لنظرية الكسب، بـل لهـا جـذور فى كلمات من سبق عليه كجهم بن صـفوان (المتوفّى۱۲۸هـ) وضـرار بن عمرو العينى الـذى يعـدّ من رجال منتصف القرن الثـالث. قال القاضـى عبـد الجبار: إنّ جهم بن صـفوان ذهب إلى أنّ أفعال العباد لا تتعلّق بنا وقال: إنّما نحن كالظروف لها، حتى أنّ ما خلق فينا كان وإن لم يخلق لم يكن. وقال ضـرار بن عمرو: إنّها متعلّقـة بنا ومحتاجـة إلينا، ولكن جهـة الحاجة إنّما هى الكسب، فقد شارك جهماً فى (۳۴)

المذهب وزاد عليه فى الإحالة.(۱) إنّ الشـيخ الأشعرى نقل فى كتاب «مقالات الإسلاميّين واختلاف المصلّين» انّ ضرار بن عمرو ممّن كان يـذهب إلى أنّ العبد كاسب، قال: والذى فارق ضـرار بن عمرو به المعتزلة، قوله: إنّ أعمال العباد مخلوقة وانّ فعلاً واحداً لفاعلين أحـدهما خَلَقَه وهو اللّه، والآخر اكتسـبه وهو العبـد، وانّ اللّه عزّ وجلّ فاعل لأفعال العباد فى الحقيقـة، وهم فاعلون لها فى الحقيقة.(۲) وقد نقل العلاّمة الحلّى نظرية الكسب عمّن تقدّم على الشيخ الأشعرى كالنجّار وحفص الفرد.(۳) فسواء أكانت النظرية للإمام الأشعرى أم لغيره، فقد مرّت عليها مراحل أُولاها، مرحلة التبيين والتفسير حتى تخرج عن الإبهام والغموض. ــــــــــــــــــــــ

۱-شرح الأُصول الخمسة:۳۶۳.

۲-مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين:۲۸۱.

۳-كشف المراد، الفصـل الثالث من الإلهيات:۱۸۹، ط صـيدا. (۳۵) مرحلـة التبيين قـد حاول غير واحـد من أعيان الأشاعرة، أن يرفع النقاب عن وجه النظرية منهم الغزالى(۴۵۰ـ۵۰۵هـ) من مشاهير الأشاعرة فى أواخر القرن الخامس وأوائل القرن السادس فقام بإيضاحها بكلام مبسوط يتلخّص فـى العنـوان التـالى: ۱. الكسب صـدور الفعل من اللّه، عنـد حـدوث القـدرة فى العبد قال: ذهبت المجبرة إلى إنكار قـدرة العبـد فلزمها إنكار ضـرورة التفرقـة بين حركة الرعدة، والحركة الاختيارية، ولزمها أيضاً اسـتحالة تكاليف الشـرع. وذهبت المعتزلـة إلى إنكار تعلّق قدرة اللّه تعالى بأفعال العباد من الحيوانات والملائكة والجن والإنس والشـياطين، وزعمت أنّ جميع ما يصدر منها، من خلق العباد واختراعهم، لا قـدرة اللّه تعالى عليها بنفى ولا إيجاب، فلزمتها شـناعتان عظيمتان: (۳۶) إحداهما: إنكار ما أطبق عليه السـلف من أنّه لا خـالق إلاّ اللّه، ولا مخترع سواه. والثانيـة: نسـبة الاختراع والخلق إلى قـدرة من لا يعلم ما خلقه، كأعمال النحل والعنكبوت وغيرهما من الحيوانات التى تقوم بأعاجيب الأعمال وغرائبها، ثمّ قال: وإنّما الحقّ إثبات القـدرتين على فعل واحـد، والقول بمقـدور منسوب إلى قادرين، فلا يبقى إلاّ اسـتبعاد توارد القـدرتين على فعل واحـد. وهـذا إنّما يبعد إذا كان تعلّق القدرتين على وجه واحـد، فـإن اختلفت القـدرتان، واختلف وجه تعلّقهمـا فتوارد التعلّقين على شـىء واحـد غير محـال، كما نبيّنه. ثمّ إنّه حاول بيان تغاير الجهتين، وحاصل ما أفاد هو: إنّ الجهة الموجودة فى تعلّق قدرته سـبحانه على الفعل غير الجهة الموجودة فى تعلّق قدرة العبد. والجهة فى الأُولى جهـة إيجاديـة تكون نتيجتُها وقوعَ الفعل فى الخارج، وحصوله فى العين. والجهة فى القدرة الثانية جهة أُخرى، وهى صدور

الفعل من اللّه سبحانه عند حدوث القدرة فى العبد. (۳۷) فلأجل ذلك تُسمّى الأولى خالقاً ومخترعاً، دون الثانية، فاستعير لهذا النمط من النسبة اسم الكسب تيمّناً بكتاب اللّه تعالى. هذا توضيح مرامه وإليك نصّ عبارته: لما كانت القدرة (قدرة العبد) والمقدور جميعاً بقدرة اللّه تعالى: سُمّى خالقاً و مخترعاً، ولمّا لم يكن المقدور بقدرة العبد وإن كان معه، فلم يسمّ خالقاً ولا مخترعاً.(۱) ثمّ اعترض على نفسه بما هذا حاصله: كيف تصحّ تسمية القدرة المخلوقة فى العبد قدرة، إذا لم يكن لها تعلّق بالمقدور، فإنّ تعلق القدرة بالمقدور ليس إلّا من جهة التأثير والإيجاد ـ وحصول المقدور بها ـ و أجاب عنه: بأنّ التعلّق ليس مقصوراً على الوقوع بها، بل هناك تعلّق آخر غير الوقوع، نظير تعلّق الإرادة بالمراد، والعلم بالمعلوم، فإنّهما يتعلّقان بمتعلّقهما بتعلّق، غير الوقوع ضرورة أنّ العلم ليس علّة للمعلوم، فإذاً لابدّ من إثبات أمر آخر من التعلّق سوى ــــــــــــــــــــ

۱-الاقتصاد فى الاعتقاد: ۹۲. (۳۸)

الوقوع.(۱) وقد قام التفتازانى بتفسير الجهتين فى شرح مقاصده وقال: لمّا بطل الجبر المحض بالضرورة، وكون العبد خالقاً لأفعاله بالدليل، وجب الاقتصاد فى الاعتقاد، وهو انّها مقدورة بقدرة اللّه تعالى اختراعاً وبقدرة العبد على وجه آخر من التعلّق يعبّر عنه بالاكتساب وليس من ضرورة، تعلّق القدرة بالمقدور أن يكون على وجه الاختراع.(۲) يلاحظ عليه: أنّ الغزالى لم يأت فى تفسير نظرية الكسب بأمر جديد ولم يزد التفتازانى شيئاً على بيانه، وحاصله يتلخّص فى كلمتين: ۱. إنّ دور قدرة العبد ليس إلّا دور المقارنة، فعند حدوث القدرة فى العبد يقوم سبحانه بخلق الفعل. ۲.إنّ للتعلّق أنواعاً ولاـ تنحصر فى الإيجاد والوجود، والإيقاع والوقوع، بل هناك جهة أُخرى يُعبّر عنها بالكسب ـ ــــــــــــــــــــ

۱-الاقتصاد: ۹۲ـ ۹۳.

۲-شرح المقاصد:۱۲۷ (۳۹)

فالعبد مصدر لهذه الجهة، وبذلك يسمّى كاسباً ـ ومع هذا التطويل فالإشكال باق بحاله، فإنّ وقوع الفعل مقارناً لقدرة العبد، لا يُصحّح نسبة الفعل إلى العبد، ولا تحمّل مسؤوليته، فإنّ نسبة المقارن إلى المقارن كنسبة تكلم الإنسان إلى نزول المطر فى الصحراء، فإذا لم يكن لقدرة العبد تأثير فى وقوع الفعل، كيف يصحّ فى منطق العقل التفكيك بين الحركة الاختيارية، والحركة الاضطرارية؟ والغزالى بكلامه هذا نقض ما ذكره فى صدر البحث حيث ردّ على المجبّرة بوجدان الفرق بين الحركتين، وهذا الفرق لا يتعقّل إلّا فى ظل تأثير قدرة العبد على الوقوع والوجود. وأضعف من ذلك تنزيل تعلّق قدرة العبد بتعلّق العلم على المعلوم، مع أنّ واقعية العلم وماهيته هى الكشف التابع للمكشوف، فلا يصحّ أن يكون مؤثّراً فى المعلوم وموجداً له، ولكن واقعية القدرة والسلطة، واقعية الإفاضة والإيجاد، فلا يتصوّر خلعها عن التأثير مع فرضه قدرة كاملة وبصورة علّة تامّة. (۴۰) ۲. الكسب: توجه قدرة العبد صوب الفعل عند صدوره من اللّه قام التفتازانى(۷۱۲ـ۷۹۲هـ) فى «شرح العقائد النسفية» بتفسير الكسب بالوجه التالى وهو: انّ صرف العبد قدرته وإرادته إلى الفعل كسب، وإيجاد اللّه تعالى الفعلَ عقيب ذلك خلق. والمقدور الواحد داخل تحت قدرتين، لكن بجهتين مختلفتين. فالفعل مقدور اللّه تعالى بجهة الإيجاد، ومقدور العبد بجهة الكسب، وهذا القدر من المعنى ضرورى وإن لم نقدر على أزيد من ذلك فى تلخيص العبارة المفصحة عن تحقيق كون فعل العبد بخلق اللّه تعالى وإيجاده، مع ما فيه للعبد من القدرة والاختيار.(۱) ويقرب من ذلك ما فى متن المواقف للعضدى وشرحه للشريف الجرجانى قالا: وأمّا التكليف والتأديب والبعثة والدعوة فانّها قد تكون دواعى للعبد، إلى الفعل واختياره، ــــــــــــــــــــ

۱-شرح العقائد النسفية: ۱۱۷. (۴۱)

فيخلق اللّه الفعل عقيبها عادة وباعتبار ذلك الاختيار المترتب على الدواعى يصير الفعل طاعة إذا وافق ما دعاه الشرع إليه ومعصية إذا خالفه ويصير علامة للثواب والعقاب.(۱) ويرد على ما ذكروه انّ العزم والإرادة والاختيار من الأُمور الوجودية الممكنة فمن خالقها أهو اللّه سبحانه، أم العبد؟ وعلى الأوّل يلزم الجبر وعلى الثانى ينتقض القاعدة، أعنى :التوحيد فى الخالقية. ثمّ إنّ نظرية الكسب بلغت من

الإبهام إلى حد أنّ القمة من مشايخ الأشاعرة كالتفتازانى يعترف بعجزه عن تفسيرها حيث قال: «وإن لم نقدر على أزيد من ذلك فى تلخيص العبارة المفصحة...». إلى هنا تمت المرحلة الأُولى من المراحل(۲) التى مرّت _____

۱-شرح المواقف:۸/۱۵۵.

۲-ولا ـ يفوتنّك انّ هذه المراحل الثلاث لم تتكون حسب التسلسل الزمنى بل تكوّنت عبر قرون لا تأبى أن تكون بعضها فى عرض الآخر. (۴۲)

على نظرية الكسب، وهنا من سلك مسلك العلمين: الغزالى والتفتازانى فى تفسير النظرية، أعرضنا عن نقله روماً للاختصار، وحان وقت الانتقال إلى المرحلة الثانية، أعنى: مرحلة التطوير والتكامل. (۴۳) المرحلة الثانية مرحلة التطوير والتكامل قد يرى الباحث فى كلمات الأشاعرة فى هذه المرحلة معانى و مفاهيم جديدة حول نظرية الكسب على وجه يخرجها عن الإبهام الذى كان يصحب النظرية فى المرحلة الأُولى، حتى كانت النظرية موصوفة باللغز كما فى قول القائل: ممّا يقال ولا حقيقة عنده * معقولة تدنو إلى الأفهام الكسب عند الأشعرى والحال * عند البهشمى وطفرة النظام(۱) فعدّ الشاعرُ نظريةَ الكسب فى إحاطة الإبهام بها فى

۱-القضاء والقدر لعبد الكريم الخطيب: ۱۸۵. (۴۴)

عداد نظرية «الحال» عند أبى هاشم و «الطفرة» عند النظام. وهذا دليل على قصور النظرية وعدم كفايتها لحلّ العقدة، وهناك كلام متين للقاضى عبد الجبار نأتى بنصه: قال:إنّ فساد المذهب قد يكون بأحد طريقين: أحدهما: بأن يُبيّن فساده بالدلالة. والثانى: بأن يُبيّن أنّه غير معقول فى نفسه، وإذا ثبت أنّه غير معقول فى نفسه، كفيت نفسَك مؤونة الكلام عليه، لأنّ الكلام على ما لا يعقل لا يمكن... والذى يبيّن لك صحّة ما نقوله أنّه لو كان معقولاً لكان يجب أن يعقله مخالفو المجبّرة فى ذلك، من الزيدية والمعتزلة والخوارج والإمامية. فإنّ دواعيهم متوافرة، وحرصهم شديد فى البحث عن هذا المعنى، فلمّا لم يوجد فى واحد من هذه الطوائف ـ على اختلاف مذاهبهم، وتنائى ديارهم، وتباعد أوطانهم، وطول مجادلتهم فى هذه المسألة ـ من ادّعى أنّه عقل هذا المعنى أو ظنّه أو توهّمه، دلّ على أنّ ذلك ممّا لا يمكن اعتقاده والإخبار عنه ألبتة. (۴۵) وأحد ما يدلّ على أنّ الكسب غير معقول، هو أنّه لو كان معقولاً لوجب ـ كما عقله أهل اللغة وعبروا عنه ـ أن يعقله غيرهم من أرباب اللغات، وأن يضعوا له عبارة تُنبئ عن معناه. فلمّا لم يوجد شىء من اللغات ما يفيد هذه الفائدة، دلّ على أنّه غير معقول.(۱) قال الشيخ المفيد: ثلاثة أشياء لا تُعقل، وقد اجتهد المتكلّمون فى تحصيل معانيها من معتقديها بكلّ حيلة فلم يظفروا منهم إلاّ ـ بعبارات يتناقض المعنى فيها على مفهوم الكلام: ۱. اتحاد النصرانية. ۲. كسب النجارية. ۳. أحوال البهشمية. إلى أن قال: ومن ارتاب فيما ذكرناه فى هذا الباب فليتوصل إلى إيراد معنى ـ فى واحد منها ـ معقول، والفرق [كذا] بينها فى التناقض والفساد، ليعلم أنّ خلاف ما حكمنا _____

۱-شرح الأُصول الخمسة للقاضى عبد الجبار: ۳۶۴ـ ۳۶۶. (۴۶)

به هو الصواب! وهيهات.(۱) ولأجل وجود هذا النقص الواضح حول النظرية حاول بعض روّاد الأشاعرة الذين قامت بهم خيمة هذا المنهج وأشادوا بنيانه، ورفعوا قوائمه، ان يُفسّر النظرية مزيجة بشىء من التطوير والإكمال حتّى يخرج عن عداد الأحوال لأبى هاشم أو الطفرة للنظام، واذكر منهم الأقطاب الثلاثة : ۱. أبو بكر محمد الطيب القاضى المعروف بابن الباقلانى(المتوفّى ۴۰۳هـ) إنّ القاضى الباقلانى من أئمّة الأشاعرة، فقد بذل وسعه فى دعم المنهج الأشعرى والذب عنه بحماس ولولا القاضى و بعض أترابه، كابن فورك الاصفهانى (المتوفّى ۴۰۶هـ) لما كان للمنهج الأشعرى نصيب من السعة والشمول، وقد اعتنقه ـ إلى يومنا هذا ـ عامّة أهل السنّة ـ غير أهل الحديث ـ . _____

۱-حكايات الشيخ المفيد برواية الشريف المرتضى لاحظ مجلة«تراثنا» العدد۳، من السنة الرابعة، ۱۱۸. (۴۷) وقد أضفى القاضى على نظرية الكسب مفهوماً جديداً، صحّ أن يعبر عنه بالتطوير، وقال ما هذا حاصله: الدليل قد قام على أنّ القدرة الحادثة لا تصلح للإيجاد،

لكن ليست الأفعال أو وجوهها واعتباراتها تقتصر على وجهة الحدوث فقط، بل هاهنا وجوه أُخرى هى وراء الحدوث. ثمّ ذكر عدّة من الجهات والاعتبارات وقال: إنّ الإنسان يفرّق فرقاً ضرورياً بين قولنا: أوجد، وبين قولنا: صلى وصام وقعد وقام. وكما لا يجوز أن تضاف إلى البارى تعالى جهة ما يضاف إلى العبد، فكذلك لا يجوز أن تضاف إلى العبد، جهة ما يضاف إلى البارى تعالى. فأثبت القاضى تأثيراً للقدرة الحادثة،وأثرها هو الحالة الخاصة، وهو جهة من جهات الفعل، حصلت نتيجة تعلّق القدرة الحادثة بالفعل، وتلك الجهة هى المتعيّنة لأن تكون مقابلة بالثواب والعقاب، فإنّ الوجود من حيث هو وجود لا يُستحق عليه ثواب وعقاب، خصوصاً على أصل المعتزلة، فإنّ (۴۸)

جهة الحسن والقبح هى التى تقابل بالجزاء، والحسن والقبح صفتان ذاتيتان وراء الوجود، فالوجود من حيث هو وجود ليس بحسن ولا قبيح. قال: فإذا جاز لكم إثبات صفتين هما حالتان، جاز لى إثبات حالة هى متعلّق القدرة الحادثة، ومن قال هى حالة مجهولة، فبيّنا بقدر الإمكان جهتها، وعرفنا أى شىء هى، ومثلناها كيف هى. وحاص(۱)ل كلامه ـ مع ما قمنا بتلخيصه ـ: هو أنّ للقدرة الحادثة تأثيراً فى حدوث العناوين والخصوصيات التى هى ملاك الثواب والعقاب، وهذه العناوين وليدة قدرة العبد، حادثة بها، وإن كان وجود الفعل حادثاً بقدرته سبحانه. فوجود الفعل مخلوق للّه سبحانه، لكن تعنونه بعنوان الصوم والصلاة والأكل والشرب راجع إلى العبد والقدرة الحادثة فيه. يلاحظ عليه: أنّ هذه العناوين والجهات التى صارت ــــــــــــــــــ

۱-الملل والنحل:۱/۹۷ـ۹۸. (۴۹)

ملاكاً للطاعة والعصيان لا ـ تخلو من صورتين: إمّا أن تكون من الأُمور الوجودية وعندئذ تكون مخلوقة للّه سبحانه حسب الأصل المسلم. وإمّا أن تكون من الأُمور العدمية فعندئذ لا تكون للكسب واقعية خارجية، بل يكون أمراً ذهنياً غنياً عن الإيجاد والقدرة. ومثل ذلك كيف يكون ملاكاً للثواب والعقاب؟ وباختصار: إنّ واقعية الكسب إمّا واقعية خارجية موصوفة بالوجود فحينئذ يكون مخلوقاً للّه سبحانه، ولا يكون للعبد نصيب فى الفعل، أو لا تكون له تلك الواقعية بل يكون أمراً وهمياً ذهنياً، فحينئذ لا يكون العبد مصدراً لشىء حتّى يثاب عليه أو يعاقب. ۲. كمال الدين بن الهمام (۷۸۹ـ۸۶۱هـ) إنّ كمال الدين محمد بن همام الدين مؤلّف كتاب «المسايرة فى العقائد المنجية فى الآخرة»(۱)تخلّص من المأزق ــــــــــــــــــ

۱-طبع فى القاهرة مع شرح كمال الدين الشريف (۵۰)

بالقول بتخصيص ما دلّ على حصر الخالقية باللّه، بعزم العبد وقصده، فكلّ شىء مخلوق للّه سبحانه وهو خالقه إلاّ عزم العبد على الطاعة والعصيان فالخالق هو العبد، وإليك نصّه فى ذلك المجال: فإن قيل: لا شكّ انّه تعالى خلق للعبد قدرة على الأفعال، ولذا يدرك تفرقة ضرورية بين الحركة المقدورة وغيرها. قلنا: إنّ براهين وجوب استناد كلّ الحوادث، إلى القدرة القديمة بالإيجاد، إنّما تلجئ إلى القول بتعلّق القدرة بالفعل بلا تأثير، لو لم تكن عمومات تحتمل التخصيص. فأمّا إذا وجد ما يوجب التخصيص فلا. لكن الأمر كذلك. وذلك المخصّص أمر عقلى، هو أنّ إرادة العموم فيها يستلزم الجبر المحض، المستلزم لضياع التكليف وبطلان الأمر والنهى. ثمّ أوضح ذلك بقوله: لو عرّف اللّه تعالى العبد العاقل أفعالَ الخير والشر، ثمّ خلق له قدرة أمكنه بها من الفعل والترك، ثمّ كلّفه بالإتيان بالخير ووعده عليه. وترك الشر (۵۱)

وأوعده عليه، بناء على ذلك الإقدار لم يوجب ذلك نقصاً فى الإلوهية. إذ غاية ما فيه أنّه أقدره على بعض مقدوراته لحكمة صحّة التكليف واتجاه الأمر والنهى. غير أنّ السمع ورد بما يقتضى نسبة الكلّ إليه تعالى بالإيجاد وقطعها عن العباد. فلنفى الجبر المحض وصحّة التكليف وجب التخصيص، وهو لا ـ يتوقّف على نسبة جميع أفعال العباد إليهم بالإيجاد، بل يكفى لنفيه أن يقال: جميع ما يتوقف عليه أفعال الجوارح من الحركات، وكذا التروك التى هى أفعال النفس من الميل والداعية التى تدعو والاختيار، بخلق اللّه تعالى، لا تأثير لقدرة العبد فيه. وإنّما محلّ قدرته، عزمه عقيب خلق اللّه تعالى هذه الأُمور فى باطنه عزماً مصمّماً بلا تردّد، فإذا أوجد العبد ذلك العزم، خلق اللّه تعالى له الفعل. فيكون منسوباً إليه تعالى من حيث هو حرّكه، وإلى العبد من حيث هو زنى ونحوه. فعن

ذلك العزم الكائن بقدرة العبد المخلوقة للّه تعالى، صحّ تكليفه وثوابه وعقابه. وكفى فى التخصيص تصحيح التكليف هذا (۵۲) الأمر الواحد. أعنى: العزم المصمّم. وما سواه ممّا لا يحصى من الأفعال الجزئية والتروك كلّها مخلوقة للّه تعالى ومتأثّرة عن قدرته ابتداءً بلا واسطة القدرة الحادثة.(۱) يلاحظ عليه: أنّ المجيب تصوّر أنّ القول بانحصار الخلق باللّه سبحانه يستند إلى دليل سمعى قابل للتخصيص كسائر عمومات الكتاب والسنّة فى الأحكام الشرعية والسنن. ولكن القول به يستند إلى برهان عقلى غير قابل للتخصيص، وهو أنّ الممكن فى ذاته وفعله قائم باللّه سبحانه، متدلّ به، وليس يملك لنفسه ذاتاً ولا فعلاً. ولا فرق فى ذلك بين الأفعال الخارجية والأفعال القلبية، أعنى: العزم والجزم فالكلّ ممكن، والممكن يحتاج إلى واجب فى وجوده وتحقّقه، فينتج أنّ العزم والجزم فى وجوده وتحقّقه محتاج إلى الواجب ومعلول لوجوده. نعم، لو كان صاحب المسايرة وأساتذته وتلامذته ممّن يفرقون بين الخلقين: خلق على وجه الاستقلال وخلق على النحو التبعى لما صعب عليهم المقام. _____

۱-شرح العقائد الطحاوية: ۱۲۲ـ ۱۲۶، نقلاً عن المسايرة (۵۳) ۳. ابن الخطيب«قدرة اللّه مانعة عن قدرة العبد» إنّ لسان الدين ابن الخطيب يرى أنّ الكسب فعل يخلقه اللّه فى العبد، كما يخلق القدرة والإرادة والعلم فيضاف الفعل إلى اللّه خلقاً لأنّه خالقه، وإلى العبد كسباً لأنّه محله الذى قام به ـ إلى أن قال: ـ إنّ الطاعة والمعصية للعبد من حيث الكسب، ولا طاعة ولا معصية من حيث الخلق، والخلق لا يصحّ أن يضاف إلى العبد، لأنّه إيجاد من عدم والفعل موجود بالقدرة القديمة لعموم تعلّق القدرة الحادثة بها. فالقدرة الحادثة تتعلق ولا تؤثّر و هى ـ القدرة الحادثة ـ تصلح للتأثير لولا المانع و هو وجود القدرة القديمة، لأنّهما إذا تواردتا لم يكن للقدرة الحادثة تأثير.(۱) وحاصل هذه النظرية: أنّ لقدرة العبد شأناً فى التأثير _____

۱-القضاء والقدر: ۱۸۷ نقلاً عن كتاب الفلسفة والأخلاق، للسان الدين ابن الخطيب:۵۵. ولا يخفى ما فى كلامه من أنّ الكسب فعل يخلقه اللّه فى العبد، إذ على هذا لم يبق أى دور للعبد. (۵۴)

لولا المانع، ولكن وجود القدرة القديمة مانع عن تأثير قدرة العبد الحادثة، ولولا سبق القدرة القديمة لكان المجال للقدرة الحادثة مفتوحاً. يلاحظ عليه: أوّلا: إذا كان دور الإنسان فى مجال أفعاله دور الظرف والمحل، فلا معنى لإلقاء المسؤولية فى الشرائع السماوية والأنظمة البشرية على عاتقه، لأنّ مكان الفعل لا يكون مسؤولاً عن الفعل المحقّق فيه، وقد صرح صاحب النظرية بكون الإنسان محلاً لإعمال قدرته سبحانه. ثانياً: أنّ ما جاء فى هذا البيان يغاير ما عليه الأشعرى وأتباعه، فإنّهم لا يقيمون لقدرة الإنسان وزناً ولا قيمة، ولكن ابن الخطيب يعتقد بكونها قابلة للتأثير لولا سبق المانع وهو القدرة القديمة، ومع ذلك ليس بتام. وذلك لأنّ فرض المانعية لإحدى القدرتين بالنسبة إلى الأُخرى إنّما يتم لو قلنا بأنّه سبحانه هو الفاعل المباشر لكلّ ما ظهر على صفحة الوجود الإمكانى، فعند ذاك يصحّ جميع ما (۵۵)

تصوّر من أنّ قدرة الإنسان مغلوبة لقدرة الخالق، ولكنّه لم يثبت ، بل الثابت خلافه، وأنّ النظام الإمكانى نظام مؤلف من أسباب ومسببات، وكلّ مسبب يستمد ـ بإذنه سبحانه ـ عمّا تقدّمه من السبب تقدّماً زمانياً أو تقدّماً رتبياً وكمالياً. وعلى ذاك الأصل يسقط حديث مانعية إحدى القدرتين، بل تُصبح قدرة العبد بالنسبة إلى قدرته تعالى، مجلى لإرادته ومظهراً لمشيئته، كيف وقد تعلّقت مشيئته بصدور فعل كلّ فاعل عن مبادئه التى أفاضها عليه، حتّى تكون النار مبدأً للحرارة عن إجبار واضطرار، والإنسان مصدراً لأفعاله عن قدرة واختيار، فلو قام كلّ بفعله فقد قام فى الجهة الموافقة لإرادة اللّه لا المضادّة والمخالفة، فقيام هؤلاء أشبه بقيام الجنود بأمر آمرهم: (وَلِلّهِ جُنُودُ السَّمواتِ وَالأَرْضِ وَكانَ اللّهُ عَلِيماً حَكيماً) (۱)، (وَما يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاّ هُوَ).(۲) _____

۱-الفتح:۴.

۲-المدثر:۳۱. (۵۶) ثالثاً: أنّ هذه المحاولات والتمحّلات ناشئة عن تصوير القدرتين فى عرض واحد، فلأجل ذلك يتصوّر تارة كون قدرته سبحانه مانعاً عن تأثير قدرة العبد، وأُخرى بأنّه لو تعلّقت قدرة العبد على ما تعلّقت به قدرته، يلزم توارد القدرتين على مقدور واحد. ولكن الحقّ كون فعل العبد مقدوراً ومتعلّقاً بهما، ولا يلزم من ذلك أىّ واحد من المحذورين، لا محذور التزاحم والتمانع، ولا

محذور اجتماع القدرتين التامتين على مقدور واحد، وذلك لأنّ قدرة العبد فى طول قدرة اللّه سبحانه، فاللّه سبحانه بقدرته الواسعة أوجد العبد وأودع فى كيانه القدرة، وأعطاه الإرادة والحرية والاختيار، فلو اختار أحد (۵۷)

الجانبين فقد أوجده بقدرة مكتسبة من اللّه سبحانه، واختيار نابع عن ذاته، وحرّيّة هى نفس واقعيته وشخصيته، فالفعل منتسب إلى اللّه لكون العبد مع قدرته وإرادته، وما يحفّ به من الخصوصيات، قائم بذاته سبحانه، متدلّية بها، كما أنّه منتسب إلى الإنسان لكونه باختياره الذاتى وحريته النابعة من نفسه، اختار أحد الجانبين وصرف قدرته المكتسبة فى تحقّقه، كما قال سبحانه:(وَما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلكِنَّ اللّه رَمى)(۱)، (وَما تَشاءُونَ إِلاّ أنْ يَشاءَ اللّه).(۲) فنفى عنه الرمى بعد إثباته له، وأثبت له المشيئة فى ظل المشيئة الإلهية. وما جاء فى هذه الآيات من المعارف الإلهية لا يصل إليها إلاّ المتأمّل فى آى الذكر الحكيم، وما نشر عن أئمّة أهل البيت ـ عليهم السَّلام ـ حولها، وعليه «فالفعل فعل اللّه وهو فعلنا».(۳) _____

۱-الأنفال:۱۷.

۲-الإنسان:۳۰.

۳-شرح المنظومة للسبزوارى: ص ۱۷۵ اقتباس من قوله فيها:

لكن كما الوجود منسوب لنا والفعل فعل اللّه وهو فعلنا.

(۵۸) المرحلة الثالثة مرحلة الإنكار والإبطال قد تعرّفت على المرحلتين المتقدّمتين اللتين مرّتا على نظرية الكسب وهى فيهما بين التبيين والتطوير ـ ولكن مشايخ الأشاعرة ـ عفا اللّه عنّا وعنهم ـ و إن بذلوا جهودهم الحثيثة لإيضاحها وتطويرها، ولكنّهم لم يأتوا بشىء يسمن ويغنى من جوع، أو يروى الغليل ـ وكان الأمر على هذه الحالة إلى أن بعث اللّه رجالاً أبطالاً أدركوا خطورة الموقف، وجفاف النظرية ومضاعفاتها السيّئة، فنفضوا غبار التقليد عن عقولهم، وتفكّراتهم، ونظروا إلى الموضوع نظر متحرّر عن كلّ رأى مسبق، فجعلوا لقدرة الإنسان نصيباً فى أفعاله وأعماله، منهم: (۵۹) ۱. إمام الحرمين الجوينى(المتوفّى ۴۷۸هـ) نسبة الفعل إلى قدرة العبد حقيقة إنّ أبا المعالى المعروف بإمام الحرمين، ذهب إلى أنّ لقدرة العباد تأثيراً فى أفعالهم، وأنّ قدرتهم ستنتهى إلى قدرة اللّه سبحانه وإقداره، وأنّ عالم الكون مجموعة من الأسباب والمسبّبات، وكلّ مسبّب يستمد من سببه المقدّم عليه، وفى الوقت نفسه، ذاك السبب يستمد من آخر، إلى أن يصل إلى اللّه سبحانه. وإليك نص عبارته: إنّ نفى هذه القدرة والاستطاعة ممّا يأباه العقل والحس، وأمّا إثبات قدرة لا أثر لها بوجه، فهو كنفى القدرة أصلاً. وأمّا إثبات تأثير فى حالة لا يفعل، فهو كنفى التأثير، فلابدّ إذاً من نسبة فعل العبد إلى قدرته حقيقة لا على وجه الإحداث والخلق، فإنّ الخلق يشعر باستقلال إيجاده من العدم، والإنسان كما يحسُّ من نفسه الاقتدار، يحسّ من نفسه أيضاً عدم الاستقلال. فالفعل يستند وجوده إلى القدرة، والقدرة يستند وجودها إلى سبب آخر تكون نسبة القدرة (۶۰)

إلى ذلك السبب، كنسبة الفعل إلى القدرة، وكذلك يستند سبب إلى سبب آخر حتّى ينتهى إلى مسبب الأسباب، وهو الخالق للأسباب، ومسبباتها ـ المستغنى على الإطلاق ـ فإنّ كلّ سبب مهما استغنى من وجه، محتاج من وجه، والبارى تعالى هو الغنى المطلق الذى لا حاجة له ولا فقر. قال (۱)الشهرستانى بعد ما نقل كلامه هذا: وهذا الرأى إنّما أخذه من الحكماء الإلهيّين، وأبرزه فى معرض الكلام. وليس تختص نسبة السبب إلى المسبّب ـ على أصله ـ بالفعل والقدرة (قدرة الإنسان) بل كلّ ما يوجد من الحوادث فذلك حكمة، وحينئذ يلزم القول بالطبع وتأثير الأجسام فى الأجسام إيجاداً، وتأثير الطبائع فى الطبائع إحداثاً، وليس ذلك مذهب الإسلاميّين، كيف، ورأى المحقّقين من العلماء أنّ الجسم لا ـ يؤثر فى الجسم.(۲) هذا هو ما علّقه الشهرستانى على كلام إمام الحرمين

۱-الملل والنحل:۱/۹۸ـ۹۹.

۲-المصدر نفسه. (۶۱)

وآخذه عليه، وهو غير صحيح. فإنّ المراد من العلّية الطبيعية بين الأجسام والمظاهر المادية، ليس هو الإيجاد والإحداث من كتم العدم،

بل المراد هو تفاعل الأجسام والطبائع، بعضها مع بعض بإذنه سبحانه، كانقلاب الماء إلى البخار، والمواد الأرضية إلى الأزهار والأشجار، وغير ذلك ممّا كشف عنه الحسّ والعلم. وأمّا الصور الطارئة على الطبائع عند التفاعل والانقلاب كصور الزَّهْر والشجر، فليست مستندة إلى نفس الطبائع، بل الطبائع معدات وممهدات لنزول هذه الصور من علل عليا، كشف عنها الذكر الحكيم عندما صرح بأنّ لعالم الكون مدبرات يدبرونه بإذنه سبحانه، قال: (فَالْمُدَبِّراتِ أَمْراً).(۱) إنّ كون العبد فاعلاً لفعله، وعالم الطبائع مؤثراً فى آثاره فإنّما هو بمعنى كونهما «ما به الوجود» لا «ما منه الوجود»، وكم من فرق بين التعبيرين. فمن اعترف بالتأثير فقد اعترف

۱-النازعات:۵ (۶۲)

بالمعنى الأوّل والسببية الناقصة، لا بالمعنى الثانى، أعنى إفاضة الوجود، والخلق بالمعنى القائم باللّه سبحانه، فإنّ الخلق فيض يُبتدئ منه سبحانه، ويجرى فى القوابل والقوالب فيتجلّى فى كلّ مورد بصورة وشكل، والإنسان بما أنّه مجبول على الاختيار، يصرف باختياره ما أُفيض عليه فى مكان دون مكان و فى صورة دون صورة. نعم ليس لغيره من الطبائع إلّا طريق واحد وتجلّ فارد. وأظن أنّ الشهرستانى لو وقف على الفرق بين الفاعلين، لما اعترض على كلام إمام الحرمين ـ بأنّه ليس من مذهب الإسلاميين ـ نعم هو ليس من مذاهب الحنابلة والأشاعرة، وأمّا العدلية بعامة طوائفها فهم قائلون بذلك، وقد عرفت قضاء القرآن والعقل فى ذاك المجال. ۲. أحمد بن تيمية(۶۶۲ـ ۷۲۸هـ) يعترف بتأثر قدرة العبد إنّ أحمد بن تيمية من دعاة السلفية فى القرن الثامن، وهو الذى أحيا مذهب السلف، بعد اندراسه، ودعا إليه بحماس وخالف الرأى العام فى مسائل عديدة فى العقائد (۶۳)

والفقه، وأخذ برأى أهل الحديث فى عامّة الموارد، حتّى فى إجلاسه سبحانه فوق عرشه، ووصفه بأنّ له أطيطاً كأطيط الرحل، إلّا أنّه خالفهم فى تأثير العلل الطبيعية وقدرة العبد واستطاعته، وأنّما عدل عن آرائهم فى هذا الموضوع وأخذ برأى العدلية من الإمامية والمعتزلة لأجل قوة البراهين التى أقامها العلّامة الحلى رداً على قول الأشاعرة بأنّه لا دور للعبد فى أفعاله، وذلك لأنّ مقالة مثل هذه تستلزم أشياء شنيعة. فلم يجد ابن تيمية محيصاً إلّا العدول عن رأى أهل الحديث والانسلاك فى صفوف العدلية، وممّا يقضى به العجب انّه نسب مختاره إلى جمهور أهل السنّة المثبتين للقدر، وكأنّ الإمام أحمد أو الإمام الأشعرى ليسا من أئمة أهل السنّة. وعلى كلّ تقدير، فهذا نصّ كلامه: إنّ جمهور أهل السنّة المثبتين للقدر، لا يقولون بما ذكره، بل جمهورهم يقولون بأنّ العبد فاعل حقيقة، وأنّ له قدرة حقيقية واستطاعة حقيقية، وهم لا ينكرون تأثير (۶۴)

الأسباب الطبيعية بل يقرّون بما دلّ عليه العقل من أنّ اللّه تعالى يخلق السحاب بالرياح، ويُنزّل الماء بالسحاب ويُنبِت النباتَ بالماء، ولا يقولون بأنّ قوى الطبائع الموجودة فى المخلوقات لا تأثير لها، بل يقرون أنّ لها تأثيراً لفظاً ومعنى. ولكن هذا القول الذى حكاه هو (العلّامة الحلّى) قول بعض المثبتة للقدر كالأشعرى ومن وافقه من الفقهاء من أصحاب مالك والشافعى وأحمد، حيث لا يثبتون فى المخلوقات قوى الطبائع ويقولون: إنّ اللّه فعل عندها لا بها، ويقولون: إنّ قدرة العبد لا تأثير لها فى الفعل، وأبلغ من ذلك قول الأشعرى بأنّ اللّه فاعل فعل العبد، وأنّ عمل العبد ليس فعلاً للعبد، بل كسب له، وإنّما هو فعل اللّه، وجمهور الناس من أهل السنّة من جميع الطوائف على خلاف ذلك، وأنّ العبد فاعل لفعله حقيقة.(۱) أقول: إنّ الإمام فى العقائد لدى أهل السنّة، هو الإمام أحمد، وبعده الإمام الأشعرى، والمفروض أنّهم لا يقولون _____

۱-منهاج السنة:۱/۲۶۶. (۶۵)

بتأثير قدرة العبد فى فعله، ومعه: كيف يمكن أن ينسب إلى أهل السنّة غيره؟! والحقّ أنّ ابن تيمية من رماة القول على عواهنه فيقضى ويبرم وينقض من دون أن يصدر من مصدر صحيح. والعجب انّه ينسب إلى أهل السنّة بأنّهم لا ينكرون تأثير الأسباب الطبيعية!! كيف يقول ذلك والأزهر والأزهريون يردّدون فى ألسنتهم قول القائل: ومن يقل بالطبع أو بالعلة * فذاك كفر عند أهل الملة ۳. نظرية الشعرانى(۹۱۱ـ۹۷۳هـ) وتأثير قدرة العبد فى فعله إنّ الشيخ الشعرانى مؤلف كتاب «اليواقيت والجواهر فى بيان عقائد الأكابر» من

أقطاب الحديث والكلام والتصوف، فقد أدرك بصفاء ذهنه انّ الاعتقاد بالكسب لا يتفارق الجبر قدر شعرة، فحاول أن يعالج المسألة من طريق (۶۶)

الكشف فقال: اعلم يا أخى أنّ هذه المسألة من أدقّ مسائل الأُصول وأغمضها، ولا يُزيل إشكالها إلاّ الكشف الصوفى، أمّا أرباب العقول من الفِرَق فهم تائهون فى إدراكها، وآراؤهم فيها مضطربة. إذ كان أبو الحسن الأشعرى يقول: ليس للقدرة الحادثة (قدرة العبد) أثر، وإنّما تعلّقها بالمقدور مثل تعلّق العلم بالمعلوم فى عدم التأثير. وقد اُعترض عليه بأنّ القدرة الحادثة إذا لم يكن لها أثر فوجودها وعدمها سواء، فإنّ قدرة لا يقع بها المقدور، بمثابة العجز. ولقوة هذا الاعتراض لجأ أصحاب الأشعرى إلى القول بالجبر. وقال آخرون إنّ لها تأثيراً ما، وهو اختيار الباقلانى، لكنّه لما سئل عن كيفية هذا التأثير فى حين التزامه باستقلال القدرة القديمة فى خلق الأفعال، لم يجد جواباً. وقال: إنّا نلتزم بالكسب لأنّه ثابت بالدليل، غير أنّى لا يمكننى الإفصاح عنه بعبارة. وتمثل الشيخ أبو طاهر بقول الشاعر: (۶۷) إذا لم يكن إلاّ الأسنّة مركباً * فلا رأى للمضطر إلاّ ركوبها ثمّ قال: ملخص الأمر: أنّ من زعم أنّه لا عمل للعبد، فقد عاند، ومن زعم أنّه مستبد بالعمل، فقد أشرك ;فلابدّ من القول بأنّه مضطر على الاختيار.(۱) هذا، وقد أحسن الشيخ فى نقد الكسب ولكن الإحالة إلى الكشف الصوفى إحالة إلى المجهول، أو إحالة إلى إدراك شخصى لا ـ يكون حجّة للغير. ۴. الشيخ عبده(۱۲۶۶ـ۱۳۲۳هـ) ، وتأثير قدرة العبد فى فعله لم نجد بين رحيل الشيخ الشعرانى عام ۹۳۷هـ إلى عصر مفتى الديار المصرية من ينفض غبار التقليد عن تفكيره، ولعلّ فى هذه الفترة رجالاً أحراراً فى التفكير، وصلوا إلى ما وصل إليه إمام الحرمين ومن جاء بعده، وعلى كلّ تقدير _____

۱-اليواقيت والجواهر فى بيان عقائد الأكابر: ۱۳۹ـ ۱۴۱. (۶۸)

فقد خالف الشيخ محمد عبده، الرأى السائد على الأزهر والأزهريين وقام بوجههم وصرح بتأثير قدرة العبد فى فعله. كانت العقيدة الإسلامية فى مصر تتجلّى فى المذهب الأشعرى وكان إنكار العلّية والمعلولية والرابطة الطبيعية بين الطبائع وآثارها من أبرز سمات ذاك المذهب، وكان التفوّه بخلافه، آية الإلحاد والكفر، وقد شنّ الماديون على هذه العقيدة اُموراً ملأوا بها صحفهم وكتبهم، منها: ۱. إنّ الإلهيّين لا ـ يعترفون بناموس العلّية والمعلولية، وينكرون الروابط الطبيعية بين الأشياء وآثارها، مع أنّ العلم ـ بأساليبه التجريبية المختلفة ـ يثبت ذلك بوضوح. ۲. إنّ الإلهيّين يعترفون بعلّة واحدة وهى اللّه تعالى، وهم يقيمونه مقام جميع العلل، وينسبون كلّ ظاهرة مادية إليه سبحانه، وأحياناً إلى العوالم العِلْوية التى يعبّر عنها بالملك والجن والروح. ۳. إنّ الإلهيّين ـ بسبب قولهم بأنّ أفعال العباد مخلوقة للّه سبحانه ـ لا يعتقدون بدور للإنسان فى حياته وعيشه، فهو (۶۹)

مجبور فى السير على الخط الذى يرسمه له خالقه، ومكتوف الأيدى أمام تلاطم أمواج الحوادث، فلأجل ذلك لا يؤثّر فى الإنسان شىء من الأساليب التربوية ولا يغيره إلى حال. إلى غير ذلك من الإشكالات والمضاعفات والتوالى الفاسدة، التى لا تقف عند حدّ. وقد وقف الشيخ عبده على خطورة الموقف، وأنّه ممّا يستحقّ أن يشترى لنفسه اللومَ والذمَ، بل الأمرَ الأشد من ذلك، فى سبيل إظهاره الحقيقة، حتّى يدفع الهجمات الشعواء عن وجه الإسلام والمسلمين بقوة ورصانة. نعم، قد أثّر فى تفكير الشيخ عبده وأوجد فيه هذا الحافز والاندفاع، عاملان كبيران، كان لهما الأثر البالغ فى بناء شخصيته الفكرية والفلسفية والاجتماعية والسياسية، وهما: ۱. اطّلاعه على نهج البلاغة للإمام أمير المؤمنين ـ عليه السَّلام ـ فى منفاه(بيروت). ۲. اتّصاله بالسيد المجاهد جمال الدين الأسدآبادى (۷۰)

(۱۲۵۴ـ ۱۳۱۶هـ). ففى ضوء هذين العاملين، خالف الرأى العام فى كثير من الموارد، ومنها أفعال العباد، فقال فى رسالة التوحيد التى كتبها عام ۱۳۰۳هـ للتدريس فى المدارس الإسلامية فى بيروت سنة إقصائه من مصر إليها وقد وقف على نهج البلاغة فى منفاه ـ: يشهد سليم العقل والحواسّ من نفسه أنّه موجود ولا يحتاج فى ذلك إلى دليل يهديه، ولا معلم يرشده، كذلك يشهد أنّه مدرك لأعماله الاختيارية، يزن نتائجها بعقله، ويقدّرها بإرادته، ثمّ يُصدرها بقدرة ما فيه، ويعد إنكار شىء من ذلك مساوياً لإنكار وجوده فى مجافاته لبداهة العقل. كما يشهد بذلك فى نفسه يشهده أيضاً فى بنى نوعه كافة، متى كانوا مثله فى سلامة العقل والحواس... وعلى

هذا قامت الشرائع، وبه استقامت التكاليف، ومن أنكر شيئاً منه فقد أنكر مكان الإيمان من نفسه، وهو عقله الذى شرفه اللّه (۷۱) بالخطاب فى أوامره ونواهيه. إلى أن قال: ودعوى أنّ الاعتقاد بكسب العبد.(۱) لأفعاله يؤدى إلى الإشراك باللّه ـ و هو الظلم العظيم ـ دعوى من لم يلتفت إلى معنى الإشراك على ما جاء به الكتاب والسنّة، فالإشراك اعتقاد أنّ لغير اللّه أثراً فوق ما وهبه اللّه من الأسباب الظاهرة، وأنّ لشىء من الأشياء سلطاناً على ما خرج عن قدرة المخلوقين، وهو اعتقاد من يعظِّم سوى اللّه مستعيناً به فى ما لا يقدر العبد عليه.... جاءت الشريعة لتقرير أمرين عظيمين، هما ركنا السعادة وقوام الأعمال البشرية: الأوّل: إنّ العبد يكسب بإرادته وقدرته ما هو وسيلة لسعادته. والثانى: إنّ قدرة اللّه هى مرجع لجميع الكائنات، وإنّ _____

۱-ولعلّه استخدم لفظ الكسب ليكون واجهة لبيان مقصده بتعبير مقبول عند أهل السنّة وإلّا فما ذكره لا صلة له بالكسب المصطلح، إلّا أن يريد الكسب القرآنى، أعنى قوله سبحانه: (لَها ما كَسَبَتْ وَعَلَيْها مَا اكْتَسَبَتْ) البقرة:۲۸۶. (۷۲)

من آثارها ما يحول بين العبد وبين إنفاذ ما يريده، وإنّ لا شىء سوى اللّه يمكن له أن يمدّ العبد بالمعونة فيما لم يبلغه كسبه. وقد كلّفه سبحانه أن يرفع همّته إلى استمداد العون منه وحده، بعد أن يكون قد أفرغ ما عنده من الجهد فى تصحيح الفكر وإجادة العمل. وهذا الذى قرّرناه قد اهتدى إليه سلف الأُمّة، فقاموا من الأعمال بما عجبت له الأُمم، وعوّل عليه من متأخّرى أهل النظر إمام الحرمين الجوينى ، وإن أنكر عليه بعض من لم يفهمه.(۱) ۵. الزرقانى والجمع بين النصوص إنّ الشيخ محمد بن عبد العظيم الزرقانى مؤلّف كتاب «مناهل العرفان فى علوم القرآن» أحد المحقّقين فى العلوم القرآنية، وكتابه هذا، يدلّ على سعة باعه واطّلاعه ونزاهة قلمه و دماثة خلقه مع المخالفين، فقد طرح فى كتابه مسألة خلق الأفعال وقال: ولنعلم أنّ المتخالفين فى ذلك ما زالوا مع

۱-رسالة التوحيد: ۵۹ـ ۶۲ بتلخيص. (۷۳)

خلافهم، إخواناً مسلمين، تظلّهم راية القرآن ويضمّهم لواء الإسلام. فى القرآن الكريم والسنّة النبوية نصوص كثيرة على أنّ اللّه تعالى خالق كلّ شىء، وانّ مرجع كلّ شىء إليه وحده، وانّ هداية الخلق وضلالهم بيده سبحانه، ثمّ ذكر شيئاً من الآيات والروايات الواردة فى هذا الصدد. ثمّ قال: بجانب هذا توجد نصوص كثيرة أيضاً من الكتاب والسنّة، تنسب أعمال العباد إليهم وتعلن رضوان اللّه وحبّه للمحسنين فيها، كما تعلن غضبه وبغضه للمسيئين، ثمّ ذكر قسماً من الآيات والروايات الدالّة على ذلك، ثمّ خرج بالنتيجة التالية: إنّ أهل السنّة بهرتهم النصوص الأُولى فقالوا : إنّ العبد لا يخلق أفعالَ نفسه الاختيارية وإنّما هى خلق اللّه وحده. وإذا قيل لهم: كيف يثاب المرء أو يعاقب على عمل لم يوجده هو؟ وكيف يتفّق هذا وما هو مقرر من عدالة اللّه وحكمته فى تكليف خلقه؟ قالوا: إنّ العباد ـ و إن لم يكونوا (۷۴)

خالقين لأعمالهم ـ كاسبون لها. وهذا الكسب هو مناط التكليف ومدار الثواب والعقاب، وبه يتحقّق عدل اللّه وحكمته فيما شرع للمكلّفين. وهكذا حملوا النصوص الأُولى على الخلق وحملوا الثانية على الكسب جمعاً بين الأدلّة. أمّا المعتزلة فقد بهرتهم النصوصُ الثانية وما يظاهرها من برهان العقل فرجّحوها وقالوا: إنّ العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية. وإذا قيل لهم: أليس اللّه خالق كلّ شىء ومنها أعمال العبد؟ قالوا: بلى إنّه خالق كلّ شىء حتّى أعمال عباده الاختيارية، بيد أنّه خلق بعض الأشياء بلا واسطة وخلق بعضها الآخر بواسطة، وأعمال المكلّفين من القبيل الثانى، خلقها اللّه بوساطة خلق آلاتها فيه، وآلاتها هى القدرة الكلية والإرادة الكلية الصالحتان للتعلق بكلّ من الطرفين. وليس لنا من حول ولا قوة سوى أنّنا استعملناها على أحد وجهيها، إمّا بحسن الاختيار وإمّا بسوء الاختيار. ثمّ لا مانع عندنا من (۷۵)

القول بأنّه سبحانه خالق لأفعال عباده، ولكن على سبيل المجاز، باعتبار أنّه خالق أسبابها ووسائلها. ثمّ قال هو: و لقد كان سلفنا الصالح يؤمنون بوحدانية اللّه وعدله، ويؤمنون بقدره وأمره، ويؤمنون بهذه النصوص وتلك النصوص، ويؤمنون بأنّ العبد يعمل ما يعمل و أنّ اللّه خالق كلّ شىء، ويؤمنون بأنّه تعالى تنزّه فى قدره عن أن يكون مغلوباً أو عاجزاً، وتنزّه فى أمره وتكليفه عن أن يكون ظالماً أو

عابثاً. ثمّ بعد ذلك يصمتون، فلا يخوضون فى تحديد نصيب عمل الإنسان الاختيارى من قدرة اللّه، ونصيبه من قدرة العبد. ولا يتعرّضون لبيان مدى ما يبلغ فعل اللّه فى قدره، ولا لبيان مدى ما يبلغ فعل العبد فى امتثال أمره، ذلك ما لم يعلموه ولم يحاولوه، لأنّهم لم يكلّفوه، وكان سبحانه أرحم بعباده من أن يكلّفهم إيّاه، لأنّه من أسرار القدر أو يكاد، والعقل البشرى محدود التفكير ضعيف الاستعداد. ومن شره العقول طلب ما لا سبيل لها إليه (وَما أُوتيتُمْ من العلم إِلاّ قَليلاً). (۷۶) لم يمتحنّا بما تعيا العقولُ به * حرصاً علينا فلم نرتب ولم نهم(۱) ۶. الشيخ شلتوت(۱۳۱۰ـ۱۳۸۳هـ) العبد فاعل بإرادته وقدرته إنّ الشيخ شلتوت أحد المجتهدين الأحرار فى القرن الماضى لا تأخذه فى اللّه لومة لائم، فإذا شاهد الحق أجهر به، ولا يطلب رضى أحد، ولا يخاف غضب آخر، فهو ممّن اعترف بحرية الإنسان فى مجال العمل، قال: وقد تناول علماء الكلام فى القديم والحديث هذه المسألة، وعُرِفت عندهم بمسألة الهدى والضلال، أو بمسألة الجبر والاختيار، أو بمسألة خلق الأفعال، وكان لهم فيها آراء فرّقوا بها كلمة المسلمين، وزلزلوا بها عقائد الموحدين العاملين، وصرفوا الناس بنقاشهم فى المذاهب والآراء عن العمل الذى طلبه اللّه من عباده، وأخذوا يتقاذفون فيما بينهم

۱-مناهل العرفان فى علوم القرآن:۱/۵۰۶ـ ۵۱۱، والشعر جزء من قصيدة البوصيرى فى مدح النبى ـ صلَّى اللّه عليه و آله و سلَّم ـ (۷۷)

بالإلحاد والزندقة،والتكفير والتفسيق، وما كان اللّه ـ و آياته بينات واضحات ـ ليقيم لهم وزناً فيما وقفوا عنده، وداروا حوله، ودفعوا الناس إليه. ثمّ إنّ ذلك العيلم بعد ما ذكر آراء السلف المختلفة قال: والذى نراه كما قلنا أنّ للعبد قدرة وإرادة ولم يخلقهما اللّه فيه عبثاً، بل خلقهما ليكونا مناط التكليف ومناط الجزاء وأساس نسبة الأفعال إلى العبد نسبة حقيقية، واللّه يترك عبده وما يختار لنفسه، فإن اختار الخير تركه فيه يدعوه سابقه إلى لاحقه، ولا يمنعه بقدرته الإلهية عن استمراره فيه ;وإن اختار الشر، تركه فيه يدعوه سابقه إلى لاحقه، ولا يمنعه بقدرته الإلهية عن استمراره فيه، والعبد وقدرته واختياره كل ذلك بمشيئة اللّه وقدرته وتحت قهره، ولو شاء لسلب قوة الخير فكان العبد شرّاً بطبعه لا ـ خير فيه، ولو شاء لسلبه قوة الشر فكان خيراً بطبعه لا ـ شر فيه، ولكن حكمته الإلهية فى التكليف و الابتلاء، قضت بما رسم، وكان فضل اللّه على (۷۸)

الناس عظيماً. ومن هنا يتبين أنّ العبد ليس مجبوراً، لا ظاهراً ولا باطناً، ولا مجزياً على ضلاله بإضلال اللّه إياه، فإنّ هذا أمر تأباه حكمة الحكيم وعدل العادل، وتمنع تصوّرَه. القضاء والقدر ليس معناهما الإلزام وبهذا يكون المؤمنون عمليّين، لا يعتذر الواحد منهم عن تقصير فى واجب بالقضاء والقدر، فليس فى القضاء والقدر إلاّ العدل المطلق، والحكمة الشاملة العامة، ليس فيهما إلاّ الحكم والترتيب، وربط الأسباب بالمسببات على سنّة دائمة مطّردة، هى أصل الخلق كلّه، وهى أساس الشرائع كلّها، وهى أساس الحساب والجزاء عند اللّه، وليس فيهما شىء من معانى الإكراه والإلزام. وإنّما معناهما الحكم والترتيب، فقضى: حكم وأمر، وقدر: رتب ونظم، وعلم اللّه بما سيكون من العبد باختياره وطوعه ـ شأن المحيط علمُه بكلّ شىء ـ ليس فيه معنى إلزام العبد بما علم اللّه أنّه سيكون منه، وإنّما (۷۹)

هو العلم الكامل الذى لا يقصر عن شىء فى الأرض ولا فى السماء، ولا فيما كان وما يكون.(۱) وبذلك تمت المراحل التى مرّت على نظرية الكسب التى شغلت بالَ المفكّرين عدة قرون وتركتْ بصماتِها على ثقافة المسلمين وعلى حياتهم بحجة انّ الإنسان مكتوف اليد، ليس له ولا لقدرته وإرادته أىُّ أثر فى حياته. قال أحمد أمين:غالت المعتزلة، بحرية الارادة، وغلوا فيها أمام قوم، سلَبُوا الانسانَ إرادتَه، حتّى جعلوه كالريشة فى مهب الريح، أو كالخشبة فى اليمّ. وعندى انّ الخطأ فى القول بسلطان العقل، وحرية الإرادة، والغلوّ فيهما، خير من الغلوّ فى أضدادهما، وفى رأيى انّه لو سادت تعاليم المعتزلة إلى اليوم كان للمسلمين موقف آخر فى التاريخ غير موقفهم الحالى، وقد أعجزهم التسليمُ وشلّهم الجبرُ، وقعد بهم التواكل.(۲) ولو كان الكاتب واقفاً على منهج أئمّة أهل البيت فى

۱-تفسير القرآن الكريم، للشيخ شلتوت: ۲۴۰ـ ۲۴۲.

۲-ضحى الإسلام:۳/۷. (۸۰)

حريـة الإنسـان ، وحـدود سـلطان العقـل لأـذعن بأنّ المنهـج فى تحديـد الحريـة، خال عن الغلوّ، وانّه أعطى لكلّ حقّه، فما عاقه القول بالتوحيـد فى الخالقية، عن القول بحرية الإنسان، وانّ مصيره من حيث السـعادة والشـقاء بيده، كما لم يمنعه القول بتأثير قدرة العبد فى انتخـابه واختيـاره عن القـول بالتوحيـد فى الأفعـال، وانّ كـلّ مـا فى الكـون من دقيق وجليـل قـائم به سـبحانه، ومفـاض منه عـبر العلل والأسـباب . لم يزل النقـاش والجـدال قائمـاً بين الأشـاعرة والمعتزلـة على قـدم وسـاق، وكـلّ يتهم الآخر بأشـنع التهم، فالأشـعرى يتّهم المعتزلى بالشـرك وانّ القول باسـتقلال الإنسان فى فعله يسـتلزم أن يكون للّه شركاء بعدد الإنسان وهم عباده المكلّفون، وهذا يناقض عقيـدة التوحيـد، وبرهان الوحدانية ;كما أنّ المعتزلة تتّهم الأشاعرة بأنّ قولهم بخلق الأعمال لا يتّفق مع القول بعدله وحكمته سـبحانه، إذ كيف يثاب المرء أو يعاقب على عمل لم يوجده. ولو رجع روّاد المنهجين، إلى منهج أئمّة أهل البيت (۸۱)

لوقفوا على الحقّ الصراح، وانّ القول بالتوحيد فى الخالقية لا يزاحم القول بالعدل والحكمة، (بشرط أن يفسر على النهج الصحيح) وانّ بين الأصـلين كمـال التلاـؤم. رُوى انّ القاضـى عبـد الجبار المعتزلى(المتوفّى۴۱۵) دخـل دارَ الصـاحب بن عبـاد فرأى فيه أبـا إسـحاق الاسفرائينى الأشعرى(المتوفّى۴۱۳هـ) فقـال القاضـى: سـبحان من تنزّه عن الفحشـاء (يريـد بـذلك انّ القول بخلق الاعمـال يسـتلزم انّه سبحانه خلق الفحشاء)، فأجابه أبو إسـحاق: سـبحان من لا يجرى فى ملكه إلّا ما شاء، ويريد انّ القول بوقوع أفعال العباد بلا مشـيئة منه سبحانه يسـتلزم القول بتحقّق أُمور خارجة عن سـلطانه.(۱) ولو تتلمـذ عميـدا المعتزلـة والأشاعرة على خريجى منهـج أئمّة أهل البيت ـ عليهم السَّلام ـ لوقفـا على أنّ الشـعارين غير متزاحمين، فاللّه سـبحانه فى الوقت الـذى تنزّه عن الفحشاء لا يجرى فى ملكه إلّا ما شاء، فَجعْلُ كلّ من الشعارين مقابلاً للآخر _____

۱-شرح المقاصد:۲/۱۴۵ ;شرح المواقف:۸/۱۵۶. (۸۲)

رهن الجمود على القول بعموم الخلقـة على التفسـير الـذى سار عليه الأشـعرى، وعلى انقطاع فعل العبـد عن قـدرته سـبحانه على النحو الـذى سار عليه المعتزلة. هذا تمام الكلام حول نظرية الكسب، ومراحلها التى مرّت بها وما لها من التوالى والمضاعفات. بقيت هنا عدّة أُمور نذكرها تباعاً فى خاتمة المطاف. (۸۳)

خاتمة المطاف

خاتمـة المطـاف وفيهـا أُمور: الأـمر الأـوّل نسـبة فعل العبـد إلى اللّه فوق التسبيب ربما يقال: انّ نسـبة فعل العبـد إلى اللّه سـبحانه نسـبةُ المسبَّب إلى السبب، واللّه سـبحانه خلق الإنسان وزوّده بالقـدرة فهو يفعل بقدرته سـبحانه، و بما انّ العبد والقدرة من أفعاله سـبحانه، يكون الصادر عن قدرة العبد فعلاً له سبحانه تسبيباً. أقول: إنّ حديث التسبيب هو متلقّى النظر الساذج وكفى فى النجاة الاعتقاد بذلك. (۸۴) وأمّا فى النظرة الدقيقة فانّ نسبة فعل العبد إلى اللّه سبحانه فوق ذلك، لأنّ العالم الإمكانى بجواهره وأعراضه وطبائعه ومجرداته فقير بالـذات لاـ يملك لنفسه شـيئاً من الوجود، فالجميع قائم باللّه سـبحانه قيام المعنى الحرفى بالمعنى الاسـمى، فلا يُمكن الفصل بين الوجود الإمكانى ووجود الواجب، فانّ الفصل آيـة الغناء، وهو يلازم الوجوب والمفروض انّه فقير بالذات حدوثاً و بقاء. وأفضل جملة تعبر عن هـذه العلقـة الوثيقة قوله سـبحانه: (وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ)(۱) وقوله سـبحانه: (مـا يكُونُ مِنْ نَجْوى ثَلاثـة إِلّا هُوَ رابعُهُم وَلا خَمْسة إِلّا هُوَ سادِسُهُم ولا أدنى مِنْ ذلك ولا أكْثَرَ إلّا هُو مَعَهُم أين ما كانُوا)(۲) ومفاد هاتين الآيتين هو كونه سبحانه مع كلّ موجود إمكانى من دون فرق بين الإنسان وفعله. وليس المراد من المعية هو حلوله سبحانه فى ذوات _____

۱-الحديد:۴.

۲-المجادلة:۷. (۸۵)

الأشـياء وآثارها، بل المراد هو المعيـة القيوميـة. وقد ذكر صدر المتألّهين تمثيلاً فى المقام، وإليك بيانه: إذا أردت التمثيل لتبيين كون

الفعل الواحد فعلاً لشخصين على الحقيقة، فلاحظ النفس الإنسانية، وقواها، فاللّه سبحانه خلقها مثالاً، ذاتاً وصفة وفعلاً، لذاته وصفاته وأفعاله، قال سبحانه: (وَفِي الأَرْضِ آياتٌ لِلْمُوقِنِينَ * وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُون).(۱) وقد أُثر عن النبى والوصى القول بأنّه «من عرف نفسه، عرف ربّه».(۲) إنّ فعل كلّ حاسّة وقوة من حيث هو فعل تلك القوة، فعل النفس أيضاً، فالباصرة ليس لها شأن إلّا إحضار الصورة المبصرة، أو انفعال البصر منها، وكذلك السامعة، فشأنها إحضار الهيئة المسموعة أو انفعالها بها، ومع ذلك فكلّ من الفعلين، كما هو فعل القوة، فعل النفس أيضاً، لأنّها _____

۱-الذاريات:۲۰ـ ۲۱.

۲- غرر الحكم:۲۶۸، طبعة النجف. وروى عن أمير المؤمنين ـ عليه السَّلام ـ قوله: «أعلمكم بنفسه أعلمكم بربه» أمالى المرتضى:۲/۳۲۹. (۸۶)

السميعة البصيرة فى الحقيقة، وليس شأن النفس استخدام القوى بل هو فوق ذلك. لأنّا إذا راجعنا إلى وجداننا نجد انّ نفوسنا بعينها الشاعرة فى كلّ إدراك جزئى، وشعور حسّى، كما أنّها المتحركة بكلّ حركة طبيعية أو حيوانية منسوبة إلى قواها. وبهذا يتّضح انّ النفس بنفسها فى العين قوّة باصرة، وفى الأُذن قوة سامعة، وفى اليد قوة باطشة، وفى الرِّجل قوّة ماشية، وهكذا الأمر فى سائر القوى التى فى الأعضاء، فبها تبصر العين وتسمع الأُذن وتمشى الرجل. فالنفس مع وحدتها وتجرّدها عن البدن وقواه وأعضائه، لا يخلو منها عضو من الأعضاء عالياً كان أو سافلاً، ولا تبائنها قوة من القوى مدركة كانت أو محركة، حيوانية كانت أو طبيعية. إذا عرفت ذلك، فاعلم أنّه كما ليس فى الوجود شأن إلّا وهو شأنه، كذلك ليس فى الوجود فعل إلّا فعله، لا بمعنى أنّ فعل زيد مثلاً ليس صادراً عنه، بل بمعنى انّ فعل زيد مع أنّه فعله بالحقيقة دون المجاز فهو فعل اللّه بالحقيقة. فكما أنّ وجود زيد بعينه أمر متحقّق فى الواقع، منسوب إلى زيد (۸۷)

بالحقيقة لا بالمجاز، وهو مع ذلك شأن من شؤون الحقّ الأوّل، فكذلك علمه وإرادته وحركته وسكونه وجميع ما يصدر عنه منسوب إليه بالحقيقة لا ـ بالمجاز والكذب. فالإنسان فاعل لما يصدر عنه و مع ذلك ففعله أحد أفاعيل الحقّ الأوّل على الوجه اللائق بذاته سبحانه. وفى ال(۱)حديث القدسى إلماع إلى هذا النوع من النسبة بين الخالق والمخلوق، قال: «يابن آدم بمشيئتى كنتَ أنتَ الذى تشاء لنفسك ما تشاء، وبقوتى أدّيتَ إلىّ فرائضى، وبنعمتى قويتَ على معصيتى، جعلتك سميعاً بصيراً قوياً».(۲) فالأشاعرة خلعوا الأسباب والعلل وهى جنود اللّه سبحانه، عن مقام التأثير والإيجاد. كما أنّ المفوّضة عزلتْ سلطانَه عن ملكه وجعلت بعضاً منه فى سلطان غيره. والحقّ الذى أيّده البرهان ويصدّقه الكتاب كون الفعل موجوداً _____

۱-الأسفار:۶/۳۷۷ـ ۳۷۸، و ص ۳۷۴.

۲- البحار:۵/۵۷. (۸۸)

بقدرتين، لكن لا بقدرتين متساويتين ولا بمعنى علّتين تامّتين بل بمعنى كون الثانية من مظاهر القدرة الأُولى وشؤونها وجنودها، (وَما يعلم جنود ربّك إلّا هو). (۱) _____

۱-المدثر:۳۱ (۸۹) الأمر الثانى تنمية العلم فى ظلّ القول بنظام الأسباب والمسبّبات قد أوضحنا فى محاضراتنا فى «الإلهيات» انّ القول بأنّ المادة لم تزل أزلية، ولو صارت ذات سنن وقوانين فإنّما هى وليدة الصدفة،لا يدفع بالإنسان إلى التحقيق وسبر أغوار الطبيعة، وذلك إذ لا ـ علم له بوجود سنن وأنظمة فى داخل العالم حتّى يبحث عنه الإنسان، فلا محيص للباحث فى سنن العالم والمستطلع للحقائق السائدة فيه ـ قبل الفحص عن السنن ـ عن اعتناق نظرية الخلقة وهى انّ العالَم مصنوع علم وقدرة واسعة، أخرجه من العدم إلى الوجود وأجرى فيه سنناً وأنظمة. والحاصل: انّ الذى يبعث الإنسان إلى الفحص عن النظم والسنن هو نظرية الإلهيّين وهو انّ العالم مخلوق موجود (۹۰)

واجب عالم قد مر، وأمّا النظرية الأُخرى أى عدم تدخّل علم وقدرة فى النظم والسنن فيعرقل خُطا الباحث عن الغور فى العالم. هذا هو

الذى أوضحنا حاله فى «الإلهيات». فنقول: إنّ إنكار العلل والمعاليل والأسباب والمسبّبات والاعتقاد بعلّة واحدة مكان العلل نظير القول بأنّ النظام مخلوق صدفة، وذلك لأنّ الذى يبعث الباحث عن الوجود وأسراره هو اعتقاده بأنّ كلّ ذرة فى ذات هذا العالم مشتملة على قانون يريد أن يستكشفه ويفرغه فى قالب العلم، وأمّا إذا اعتقد خلاف ذلك وانّه ليس للعالم إلّا علّة واحدة وأنكر الأنظمة والسنن فلا يجد فى نفسه باعثاً نحو الفحص والتحقيق، إذ لا علم له بوجود السنن والأنظمة حتّى يبحث عنها ، فدعامة العلم لا تقوم إلّا بالقول بأنّه سبحانه تبارك وتعالى خلق العالم على نظام خاص وأجرى فيه شيئاً هو مظاهر علمه وقدرته. وقد جرت سنّة اللّه تعالى على خلق الأشياء بأسبابها، (۹۱)

فجعل لكلّ شىء سبباً و للسبب سبباً إلى أن ينتهى إلى اللّه سبحانه، والمجموع من الأسباب الطولية علّة واحدة تامّة كافية لايجاد الفعل، ونكتفى فى المقام بكلمة عن الإمام الصادق ـ عليه السَّلام ـ حيث قال: «أبى اللّه أن يجرى الأشياء إلّا بأسباب، فجعل لكلّ شىء سبباً وجعل لكلّ سبب شرحاً».(۱) الأمر الثالث: نظرية «مالبرانس» إنّ المنقول عن الفيلسوف الفرنسى «مالبرانس»(۱۶۳۱ـ ۱۷۱۵م) يتّحد مع نظرية الأشعرى حرفاً بحرف، و من المظنون أنّه وقف على بعض الكتب الكلامية للأشاعرة، فأفرغ نظرية الكسب حسب ما تلقّاه من تلك الكتب فى كتابه ، وحاصل ما قال: إنّ كلّ فعل إنّما هو فى الحقيقة للّه، ولكن يظهر على نحو ما يظهر، إذا تحقّقت ظروف خاصة إنسانية أو غير _____

۱-الكافى:۱/۱۸۳، باب معرفة الإمام، الحديث۷. (۹۲)

إنسانية حتّى لكأنّها يخيّل للإنسان أنّ الظروف هى التى أوجدته. فهذه النظرية أولى بأن تسمّى بنظرية الاتّفاقية، أو نظرية الظروف والمناسبات، وهى نفس نظرية الأشعرى حيث يرى أنّه لا تأثير للقدرة الحادثة فى الأحداث، وإنّما جرت سنّة اللّه بأن يلازم بين الفعل المحدَث و بين القدرة المحدثة (بالكسر) له إذا أراد العبد وتجرد له، ويسمى هذا الفعل كسباً. فيكون خلقاً من اللّه، وكسباً من العبد، عندما يقع فى متناول قدرته واستطاعته، من غير تعلّقه عليه.(۱) وقد نقل «ذكاء الملك» نظرية ذلك الفيلسوف الفرنسى فى موسوعته الفلسفية. وهى تبتنى على إنكار قانون العلّية والمعلولية بين الأشياء، وأنّ كلّ ما يعدّ علّة لشىء فهو من باب المقارنة. فلو رأينا أنّ جسماً يحرك جسماً آخر، فذلك إدراك سطحى، والمُحْدِث هو اللّه سبحانه، وتلاقى الجسمين ظرف لقيامه بالتحريك، ومثله تحريك النفس عضواً من أعضاء _____

۱- القضاء والقدر للكاتب المصرى عبد الكريم الخطيب: ۱۸۲. (۹۳)

البدن، فالمحرّك هو اللّه سبحانه وإرادة النفس ظرف ومحلّ لظهور فعله سبحانه. ولا نعلّق على هذه النظرية سوى القول بأنّها مخالفة للبراهين الفلسفية القائمة على وحدة حقيقة الوجود فى جميع المراتب، واختلافها بالشدة والضعف. فعندئذ لا معنى لأن يختصّ التأثير ببعض المراتب دون آخر مع الوحدة فى الحقيقة. إنّ إنكار التأثير على وجه الإطلاق بين الظواهر الطبيعية ومافوقها يخالف البرهان العقلى الفلسفى، أوّلاً ;وصريح الذكر الحكيم، ثانياً ;والفطرة السليمة الإنسانية، ثالثاً، والتفصيل فى الجهات الثلاث موكول إلى محلّه. الأمر الرابع: التفسير الخاطئ فى قسم من الأُصول قد تعرّفت على التفسير الخاطئ للتوحيد فى الخالقية وانّ هذه العقيدة القرآنية كيف فسِّرت بصورة مشوهة حتّى صارت سبباً لانتفاء الغاية من خلق القدرة فى الإنسان إلى غير ذلك من المضاعفات التى تعرّفت عليها. (۹۴) وفى تاريخ العقائد نظائر لهذا الأصل ابتليت بتفاسير خاطئة استوجب توالى فاسدة، نظير: ۱. القضاء والقدر وسعتها لأفعال البشر. ۲. علمه سبحانه بالكائنات وأفعال الإنسان. ۳. البداء و انّ للإنسان أن يغيّر مصيره بالأعمال الصالحة والطالحة. ۴. التقية التى هى سلاح الضعيف أمام من صادر حرياته. ونظائرها فانّ كلاً من هذه الأُصول لها دلائل ساطعة فى القرآن الكريم والسنّة تعدّ من المعارف العليا فى الإسلام ولكنّها مع الأسف الشديد وقعت فى إطار تفاسير باطلة صارت سبباً للطعن والغمز. أمّا القضاء والقدر فقد فسّرا بنحو صارت نتيجته كون الإنسان مكتوف اليد، أو كالريشة فى مهب الريح، أو كالخشبة فى اليم، أو غير ذلك. وأمّا الثانى، فقد جعلوا علمه الوسيع سبباً للجبر وانّه (۹۵)

ليس للخاطئ إلّا ارتكاب الخطأ و إلّا ينقلب علمه جهلاً. وأمّا الثالث، فقد فسروه بظهور ما خفى عليه سبحانه، وتعالى عن ذلك. وأمّا الرابع، فقد جعلوه من فروع النفاق. فيجب على الباحث أن يستنطق الكتاب والسنة فيها مجرداً عن كلّ رأى مسبق حتّى يقف على حقائق تلك الأُصول. وبما انّه قد استوفينا الكلام فى هذه الأُصول فى عدة من مؤلّفاتنا فلا نجد حاجة إلى تكرارها، ومن أراد فليرجع إلى الصفحة أدناه.(۱) الأمر الخامس: تغيير عنوان المسألة فى كتب المتأخّرين إنّ العنوان الرائج فى كتب القدماء هو خلق الأعمال و الأفعال ولكن العنوان الموجود بين المتأخرين غير ذلك فهم _____

۱-انظر ۱. الإلهيات فى أربعة أجزاء: الجزء الأوّل والثانى ;۲. مفاهيم القرآن فى عشرة أجزاء، الجزء الأوّل ;۳. الملل والنحل، الجزء الأوّل والثالث ; ۴. مع الشيعة الإمامية فى تاريخهم وعقائدهم. (۹۶)

يعبرون عن المسألة بالعنوان التالى: إنّ اللّه قادر على كلّ المقدورات أو انّ أفعال العباد الاختيارية واقعة بقدرة اللّه سبحانه و تعالى وحده.(۱) ولعل التعبير الثانى أفضل، وذلك لأنّ مادة الخلق لا تنسب إلى الفعل فى لغة العرب، فلا تجد فى الكتاب والسنّة ولا عند شعراء العصر الجاهلى من ينسب الخلق إلى الفعل ويقول خلق الأكل أو الشرب. نعم ورد فى القرآن الكريم قول إبراهيم: (وإنّما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ أوثاناً وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً)(۲) فقد نسب الخلق إلى الإفك الذى هو يعدّ فعلاً للإنسان. ولكن الإمعان فى الآية يفسر لنا وجه هذه النسبة، فانّ الإفك كناية عن الاعتقاد بكون الأصنام إلهاً يُعبد، فقد صار هذا سبباً لنسبة الخلق إلى الفعل المتجسّم فى ضمن «الأوثان» التى يتعلّق بها «الخلق» . _____

۱-لاحظ شرح المواقف:۸/۱۴۵.

۲-العنكبوت:۱۷. (۹۷) وهذا يعرب عن أنّ العنوان الواضح هو ما اختاره المتأخّرون من عمومية قدرته لأفعال العباد. الأمر السادس: فى إيضاح الجهمية والنجارية والضرارية إنّ هذه الطوائف الثلاث من دُعاة القول بالجبر وخلق الأعمال وانّ نصيب العبد من الفعل هو الكسب، ولذا حاولنا أن نقول فيهم كلمة للإيضاح. تنتسب الجهمية إلى جهم بن صفوان(المتوفّى ۱۲۸هـ) وهو تلميذ الجعد بن درهم الذى قتله خالد بن عبد اللّه القسرى سنة ۱۲۴هـ ويليهم فى القول بالجبر النجارية وهم أصحاب الحسين بن محمد بن عبد اللّه النجار (المتوفّى عام ۲۳۰هـ) وله مناظرات مع النظام . وعرفهم الشهرستانى بقوله بأنّهم يقولون إنّ البارى تعالى هو خالق أعمال العباد خيرها وشرها، حسنها وقبيحها والعبد مكتسب لها، ويثبتون تأثيراً للقدرة الحادثة ويسمّون (۹۸)

ذلك كسباً.(۱) الضرارية نسبة إلى ضرار بن عمرو، و قد ظهر فى أيام واصل بن عطاء، و قد ألف قيس بن المعتمر كتاباً فى الردّ على ضرار سمّاه كتاب «الردّ على ضرار». إنّ هذه الطائفة أيضاً تقول بأنّ أفعال العباد مخلوقة للّه حقيقة والعبد مكتسبها.(۲) بلغ الكلام إلى هنا ظهيرة يوم الخميس السادس والعشرين من شهر صفر المظفر من شهور عام ۱۴۲۳ من الهجرة النبوية وآخر دعوانا ان الحمد للّه ربّ العالمين _____

۱-لاحظ الملل والنحل للشهرستانى:۱/۸۹.

۲-مقالات الإسلاميين:۱۲۹ ;الملل والنحل:۱/۹۰.

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه

المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بِساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة "للتحرِّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ– فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَى.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثُلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع "مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع "پنج رَمَضان "ومُفترَق "وفائى/ "بناية "القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵–۲۳۵۷۰۲۳– (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِي الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفِّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم – فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ وليّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹